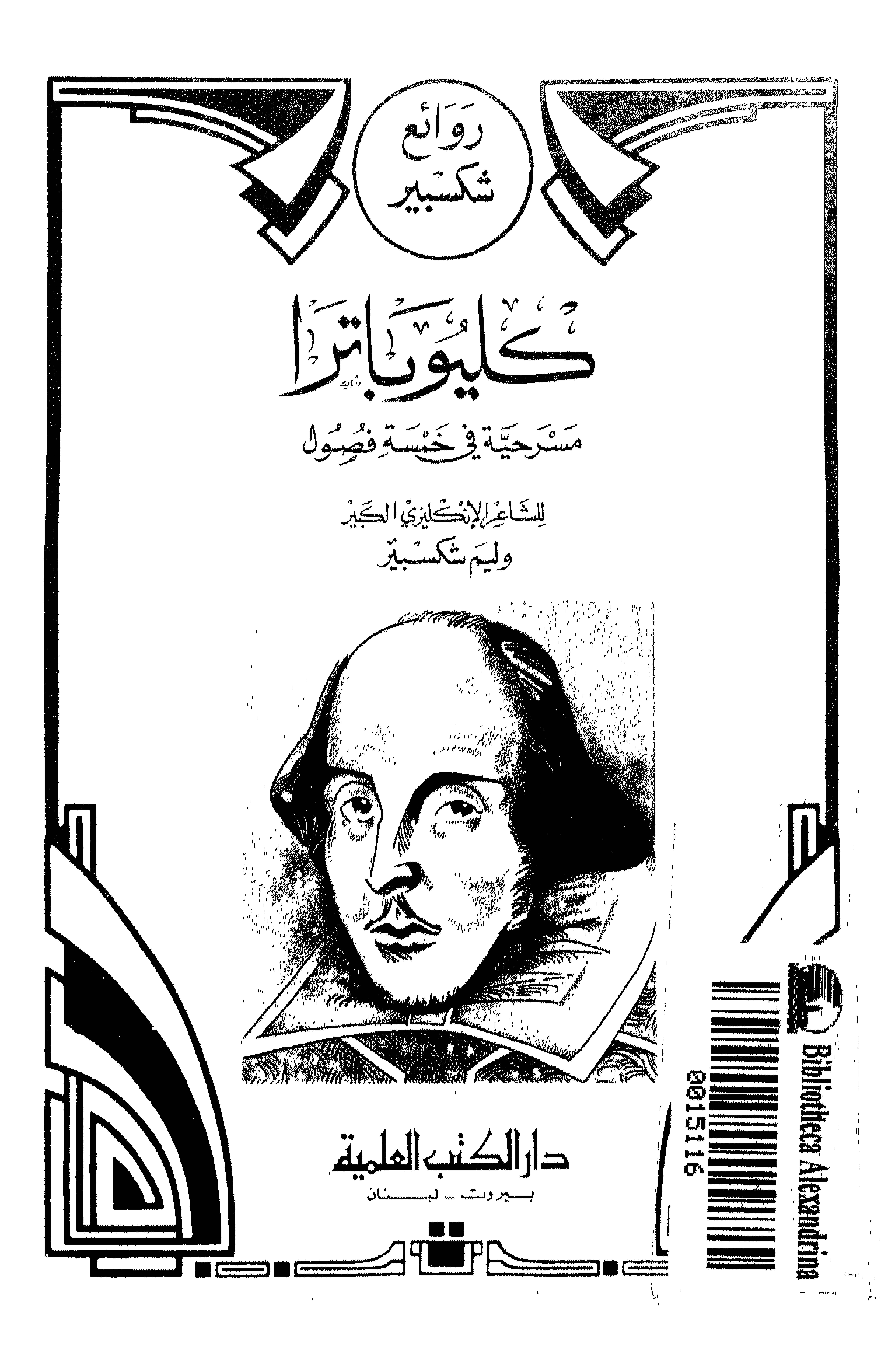

روائع
شكسبير
كليوباترا
مسرحية في خمسة فصول
للشاعر الإنكليزي الكبير
وليم شكسبير
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان
Bibliotheca Alexandrina
0015116

كليوباترا

مسرحية في خمسة فصول

للشاعر الإنكليزي الكبير
وليم شكسبير

دار الكتب العلمية
بيروت ـ لبنان

الطبعة الأولى
١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

يطلب من: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان
ص.ب: ١١/٩٤٢٤ تلكس: Nasher 41245 Le
هاتف: ٣٦٦١٣٥ - ٨١٥٥٧٣

وليم شكسبير
(١٥٦٤ - ١٦١٦)

أعظم الشعراء والكتاب المسرحيين الإنكليز ، ومن أبرز الشخصيات في الأدب العالمي إن لم يكن أبرزها على الإطلاق . يصعب تحديد عبقريته بمعيار بعينه من معايير النقد الأدبي ، وإن كانت حِكَمُه التي وضعها على لسان شخصيات رواياته خالدة في كل زمان .

هناك تكهنات وروايات عديدة عن حقيقة شخصيته التي يكتنفها الغموض والإبهام ، وعن حياته التي لا يعرف عنها إلا القدر اليسير . والثابت أن أباه كان رجلاً له مكانته في المجتمع ، وكانت أمه من عائلة ميسورة الحال . وقيل إنه بلغ حدّاً من التعليم مكّنه من التدريس فيبلدته ستراتفورد-آون-آفون ، التي يوجد بها الآن مسرح يسمى باسمه ، يقوم بالتمثيل على خشبته أكبر الممثلين المتخصصين في رواياته . ومن الثابت أيضاً أنه تزوج من آن هاتاواي ، وأنجب منها ثلاثة أطفال .

في سنة ١٥٨٨ انتقل إلى لندن وربط حياته بالمسرح هناك . وفي سنة ١٥٨٩ أُخرجت أولى مسرحياته ، وهي إما مسرحية « كوميديا الأغلاط » أو الجزء الأول من مسرحية « هنري السادس » . وفي سنة ١٥٩٩ اشترك في إدارة مسرح غلوب الشهير .

وقد كان شكسبير رجل عصره على الرغم من عالمية فنه ، إذ تأثر إلى حدّ بعيد بمعاصريه من كتّـاب المسرح مثل توماس كيد وكريستوفر مارلو ، وخاطب مثلهم الذوق الشعبي في عصره ، وهو الذوق الذي كان يهوى المآسي التاريخية بما فيها من عنف ومشاهد دامية . كما كان يهوى المشاهد الهزلية ذات الطابع المكشوف التي كانت تتخلل المسرحيات التراجيدية لتخفف من حدة وقعها .

غير أن شكسبير هذّب القصص التي نقلها عن المؤرخ هوليتشد لتاريخ انكلترا واسكوتلندا ، كما هو الحال في مسرحيات «مكبـث» و« الملك لير » و« سمبلين » و « ريتشارد الثالث » . وعن المؤرخ الروماني بكوتارك ، كما في مسرحية « أنطوني وكليوباطرا » . وأضاف إلى ذلك كله عمق تحليله للنفس البشرية ، فضلاً عن شاعريته الفياضة في تصوير المواقف التاريخية والعاطفية الخالدة ، حتى جعل من المسرح الإنكليزي فنّاً عالميّاً رفيعاً .

ومن المتفق عليه بين معظم الباحثين والدارسين أن ٣٨ من المسرحيات لا يشك في نسبتها إليه ، وأن مراحل إنتاجه الأدبي يمكن تقسيمها إلى مراحل أربع :

أولاهـا : (١٥٩٠ ـ ١٥٩٤) وتحوي مجموعة من المسرحيات التاريخية منها « كوميديا الأغلاط » و « هنري السادس » و « تيتوس أندرونيكوس » و « السيدان من فيرونا » و « جهد الحب الضائع » و « الملك جون » و « ريتشارد الثالث » و « ترويض النمرة » .

المرحلة الثانية : هي المرحلة الغنائية (١٥٩٥ ـ ١٦٠٠)

وتشتمل على معظم قصائده الشهيرة وبعض مسرحياته الخفيفة ، مثل « ريتشارد الثاني » و « حلم منتصف ليلة صيف » و « تاجر البندقية » التي ترجمت جميعاً إلى العربية مع بعض روائعه الشهيرة مثل « روميو وجولييت » و « هنري الخامس » و « يوليوس قيصر » و« كما تهواه » وقد ترجمت جميعاً إلى العربية أيضاً .

ومن مسرحيات هذه المرحلة كذلك « زوجات وندسور المرحات » و « ضجيج ولا طحن » .

المرحلة الثالثة : وهي أهم المراحل على الإطلاق ، إذ تمثل قمة نضوجه الفني ؛ فقد كتب فيها أعظم مسرحياته التراجيدية ، مثل « هاملت » و « عطيل » و« الملك لير » و «مكبث» و« أنطوني وكليوباطرا » و« بركليز » و « كريولينس » و « دقة بدقة » ، وقد ترجم معظمها إلى العربية ، ومنها ما ترجم أكثر من مرة ، ومنها ما بلغ عدد ترجماته العشرة مثل « هاملت » .

ومن مسرحيات هذه المرحلة أيضاً « تيمون الأثيني » و « خير ما انتهى بخير » .

المرحلة الرابعة : وهي المرحلة التي اختتم بها حياته الفنية (١٦٠٩ ـ ١٦١٣) ، وقد اشتملت على مسرحيات « هنري الثامن » و « العاصفة » مما ترجم إلى العربية ، وعلى مسرحيتي « قصة الشتاء » و« سمبلين » .

وفي هذه المرحلة نجد العواطف النفسية العنيفة وقد خبت وتحولت في نفس الشاعر إلى نظرة تقبل ورضى وأمل وتأمل .

هذا وقد نسب بعض النقاد المتقدمين مؤلفاته إلى آخرين ، منهم الفيلسوف فرنسيس بيكون ، ومنهم إيرل اكسفورد . وقال

آخرون إنه من أصل عربي وإن اسمه جاء تحريفاً لاسم الشيخ زبير . وكلها أقوال لم تثبت بالأدلة القاطعة ولم يقم عليها الدليل العلمي وإن كانت هناك بحوث كثيرة في هذا الصدد . ولقد اشترك كثير من كبار الشعراء في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر في جمع مسرحياته ونقدها ، وإن اختلفت وجهات النظر وتعددت أساليب النقد . ففي القرن الثامن عشر اعترض كتاب من أمثال « دريدن» و «بوب» على ما اعتبروه إسراف شكسبير في الخيال والتعبير. أما شعراء القرن التاسع عشر من أمثال « كولرديج » فقد أعطوا الشاعر الكبير ما يستحقه من التقدير، وكذلك الحال بالنسبة إلى نقاد القرن العشرين، من أمثال « ت . س . أليوت » ممن أكدوا عالمية فنه وخلود أدبه .

هذا وقد كان لشكسبير أثره الكبير في آداب جميع الأمم على الإطلاق ، وتأثر به جميع الكتاب والشعراء والأدباء في كل البلدان وفي كل العصور ، في القارة الأوروبية والأمريكتين وفي غير ذلك من القارات في القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر خاصة ، وفي غير ذلك من القرون . معظم مسرحياته ، وقدمت في المسرح والسينما والإذاعة .

ونحن ، في دار الكتب العلمية ، إذ يسرنا أن نقدم إلى القراء دافعاً لمزيد من التمازج والتلاقح بين الثقافة العربية العظيمة ومختلف الثقافات الأجنبية ، تمهيداً لإنشاء ثقافة إنسانية واحدة متكاملة . وما توفيقنا إلا بالله العلي العظيم .

أشخاص الرواية

مارك أنطونيو أوكْتَافْيوس قيصر ليوبدوس	الحكام الثلاثة مجتمعين
سيكتاس بومبيوس	
آنوبارباس ، ديكرتاس ، أوروس . ڤنتيدياس ، فيلوس سَكارُوس ، ديمترياس	أصدقاء أنطونيو
ثيراس ، أغْرِبيًّا غلّوس، دُولابِلاَّ مِسْنس ، بروكيلياس	أصدقاء قيصر
ميناس منيكراتاس فرياس	أصدقاء بومبيوس
تُوراس	: فريق ثان لقيصر
كنديِاس	: فريق ثان لأنطونيو
سيلاس	: ضابط في جيش ڤنتيدياس

يفورنياس — سفير أنطونيو لقيصر

ألكساس
مراديان (أغا) — أتباع كليوباترا
سليكايس
ديومديس

منجم
ماجن

كليوباترا : ملكة مصر

أوكتافيا : أخت قيصر وزوجة أنطونيو

شرامیان
إرس — وصيفتان لكليوباترا

ضباط وجنود وخدم آخرون

المنظر: أجزاء كثيرة من الامبراطورية الرومانية

الفصل الأوّل

المشهد الأول

الإسكندرية ـ غرفة في قصر كليوباترا

(يدخل ديمترياس وفيلوس)

فيلوس : في الحقيقة قد جاوزت استكانة قائدنا إلى هذا النعيم كل حدّ ، فعيناه الجميلتان اللتان كانتا تتفحصان الجنود وهم يتأهبون ليخوضوا معارك القتال، وتشعان بريقاً ينفذ إلى الأفئدة ، وهو لابس درع القتال الحديدي المتألق وكأنه إله الحرب نفسه ـ هما الآن قلقتان لا تستقران ، وإن كانت نظراتهما إلى ذلك الوجه الأسمر تنمان عن وفاء كبير ؛ وقلبه الشجاع ـ الذي وصل بقوته وشدته أن مزّق في المعارك الكبرى زرد درعه. إنه الآن قد تنكر لكل صفات الاعتدال ، وأمسى كأنه مروحة تدور من أجل تلك المصرية وغاياتها وأهوائها .

(صوت أبواق ، يدخل أنطونيو وكليوباترا ووصيفاتها وخدمها مع بعض الخصيان يحملون مراوح)

انظر إليهما آتيين وأمعن النظر تجد هذا

الرجل الذي كان ملكاً من ملوك العالم الثلاثة قد أصبح داعراً مخبولاً . انظر وتأمل ما تراه .

كليوباترا : إذا كان ما تفتخر به وتعتز بالإحساس بقوته هو الحب نحوي فهات أخبرني مقداره .

أنطونيو : ليس شيئاً ذلك الحب الذي يمكن حسابه وتقديره .

كليوباترا : سأحدد مقدار حبي لك .

أنطونيو : أما أنا فإذا أردت أن تعرفي مقدار حبي فابحثي عن أرض غير أرضنا وسماء غير سمائنا؛ فهاتان لا تتسعان لمقدار حبي وقوته .

(يدخل تابع)

التابع : عندي أنباء من روما يا مولاي .

أنطونيو : هذا أمر يضايقني ؛ اختصر لي ما فيها .

كليوباترا : لا يا أنطونيو يجب عليك أن تسمعها كلها ، فقد تكون فلفيا غاضبة ، أو من يدري ؟ إذ قد يكون ذلك الشاب الأمرد قيصر قد أصدر إليك أمراً صارماً يأمرك فيه أن تفعل هذا الأمر أو ذاك ، أو تغزو هذه المملكة أو تنجد تلك ، وأن تنفذ ذلك وإلا عرضت نفسك للعقاب .

أنطونيو : وكيف يكون هذا يا حبيبتي ؟ .

كليوباترا : أو قد يطلب منك، أو على الأصح يأمرك ـ ألا تظلّ هنا ، وربما أصدر إليك أوامره بمغادرة مصر ، لذا عليك أن تصغي إليه يا أنطونيو لترى : هل هذه الأخبار من زوجتك ، أم من قيصر ، أم منهما معاً ؟ ادع الرسل وإني لعلى ثقة ـ كما أني ملكة مصر ـ أن دم الحياء قد أخذ يتصاعد إلى وجنتيك يا أنطونيو ، وهذه علامة الخضوع لقيصر والخوف منه ، وقد تكون علامات الحياء دليلاً على خوفك من سلاطة لسان فلفيا بالتوبيخ . ادعوا الرسل ! .

أنطونيو : فلتغرق روما في مياه التيبر ، ولتتهدم الإمبراطورية الرومانية على سعتها وتصبح خراباً !! قسماً إني لا أرغب بشيء سوى الاقامة بمصر وكفى ، ولعمري إن الممالك من تراب ، ولا تستأهل عناء غزوها ، وإن دنيانا النجسة هذه تمد الإنسان والحيوان البهيم بالغذاء على حد سواء ، وإن التمتع بالحياة ـ لا الحصول على الثروة وسطوة الحكم ـ أنبل هدف إذا استطعت التأكد من أننا نحن الاثنين (يتعانقان) على وئـام تام متحليين بالشرف وهذا ما أشهد عليه العالم كله ، على أن كل فرد سيناله العقاب ، إذا أنكر

ذلك كله ولم يعترف بأنه ليس لنا مثيل .

كليوباترا : ما أجراه من كذب ! لماذا تزوج فلفيا ولم يحبها ؟ وسأظهر بمظهر المجنونة ، إن لم يظهر أنطونيو صفتي الشرف والنبل اللتين هما من صميم طبعه .

أنطونيو : أجل سأظهر أني جدير بما أنه فيه لو ألهمتني ذلك كليوباترا ، ودفعتني إليه بأمر الحب وما تغمرني به حبيبتي من المتع ، على أننا نضيع الوقت في النقاش الحاد ، في حين ينبغي ألا نضيع أية دقيقة من وقتنا لشيء غير السعادة . ماذا أعددنا لملاهي ليلتنا ؟

كليوباترا : قابل السفراء .

أنطونيو : يا لك من ملكة مشاغبة ! ملكة يناسبها أن توبّخ وأن تضحك وأن تبكي ، ويستطيع كل ميل من ميولها أن يظهر جميلاً أو دميماً . لن أجتمع بسفير غيرك ، وستصحبينني الليلة بمفردك ونتجول في الشوارع حيث نشرف على عبث الشعب ولهوه ، هيا يا ملكتي ، وقد رغبت في ذلك ليلة أمس ؛ أما أنت أيها الخادم فتوقف عن الكلام .

(يخرج أنطونيو وكليوباترا وأتباعهما)

ديمترياس : أَبَلغ عدم احترام أنطونيو لقيصر أن لا يستمع حتى لرسالته ؟

فيلوس : حين لا يكون أنطونيو في حال اتزانه التام يبدو غير متسم بصفات النبل التي عرفت في طبعه .

ديمترياس : إنه ليؤلمني أن يثبت بذلك صدق أولئك الذين يفترون عليه في روما ، وإني لآمل أن يعود إلى رشده وطباعه الطيبة غداً ، أستودعك الله .

(يخرجان)

المشهد الثاني

غرفة أخرى في قصر كليوباترا

(تدخل شراميان وإرس والكساس ومنجم)

شراميان : يا سيد ألكساس ، أيها الحبيب ألكساس ، ويا كل شيء يا ألكساس ، ويا ألكساس المتحلي بصفات الرجولة كلها ، البعيد عن النقائص ، أين المنجم الذي أكثرت من الثناء عليه للملكة ؟

ألكساس : أيها المنجم .

المنجم : هأنذا رهن أوامرك .

شراميان : هل هذا هو الرجل ؟ أأنت يا سيدي الرجل العليم في التنبؤ بالمستقبل ؟ .

المنجم : إني أقدر على قراءة بعض الشيء من سفر أسرار الحياة .

ألكساس : أريه كفك .

(يدخل أنوبارباس)

أنوبارباس : لنسرع بعمل الوليمة ، وأكثر من الخمر كي نشرب نخب كليوباترا .

شراميان : (إلى المنجم) يا سيدي الطيب قل لي

بأن حظي سيكون سعيداً .

المنجم : أنا لا أصنع الحظ ولكني أتنبأ به .

شراميان : إذن تنبأ كيف سيكون حظي .

المنجم : ستكونين أكثر جمالاً مما أنت عليه الآن .

شراميان : يعني بذلك ملامح وجهي وليس حظي .

إرّس : ولكنك عندما تكبرين ستصبغين وجهك فيزداد جمالك .

شراميان : إني لأتمنى أن تبتعد التجعدات عني .

ألكساس : لا تقطعي عليه حبل تنبؤاته وانصتي .

شراميان : اسكت !

المنجم : ستكونين مُحبّة أكثر من أن تكوني محبوبة .

شراميان : أفضل أن أدفىء كبدي بالخمر .

ألكساس : استمعي إليه .

شراميان : تكرّم الآن وقل لي بأن حظي سيبلغ ذروة السعادة قل لي : إني سأتزوج من ثلاثة ملوك في يوم واحد وأعيش بعدهم ، وإني سأنجب في سن الخمسين طفلاً يخضع له هردُ ملك اليهود ، وأخبرني بأني سأتزوج أوكتافيوس قيصر وأكون مساوية لسيدتي تماماً

المنجم : سيكون عمرك أطولَ من عمر سيدتك التي أنت في خدمتها .

شراميان : عظيم جداً ! إني أحب العمر المديد أكثر من ثمر التين .

المنجم : أنت الآن تتمتعين بحظ أعظم مما يخبئه لك المستقبل .

شراميان : إذن من المحتمل أن لا يكون أطفالي شرعيين . أرجوك أن تخبرني عن عدد الإناث والذكور الذين سأنجبهم .

المنجم : لو كان لكل رغبة من رغباتك رحم لكان لك « مليون » طفل .

شراميان : اخرس أيها المجنون ! إني أغفر لك لأنك ساحر ، هيا أخبر إرس عن حظها .

ألكساس : سنعرف حظنا جميعاً .

أنوبارباس : سأشرب أنا وأنتم الليلة نخب حظنا قبل أن نمضي إلى النوم .

إرس : إليك يداً تنبىء بالعفة إن لم تنبىء بشيء آخر .

شراميان : هذا من غير الممكن وكأنك تقولين إن فيضان النيل ينبىء بالمجاعة !!

إرس : اخسئي أيتها الغالية في مزاجك المرح ؟ إنك لا تقدرين على قراءة المستقبل .

شراميان : حقاً إذا لم تكن اليد الناعمة تدل على

مستقبل حسن فإني أقر بعجزي . أرجوك إخبارها بنبأ عادي .

المنجم : كل طوالعكم متشابهة .

إرَس : ولكن كيف هذا ؟ عليّ بالتفاصيل .

المنجم : لقد أخبرتكم ما أعرفه وليس لديّ ما أزيد عليه .

إرس : أليس حظي أكبر من حظها بقليل ؟ .

شراميان : نرجو من الله أن يصوب أفكارنا السيئة . وأخبرني عن حظ ألكساس ، أنبئه بأنه سيتزوج بامرأة كسحاء لا تتمكن من السير ، ثم دعها تموت ليتزوج أسوأ منها ، واجعلها تترك الرجل السافل لتتزوج بآخر أسوأ منه حتى أسوأ الناس يشيعـون جنازتـه إلى المقبـرة وهم يضحكون . أيتها الإلّهة إيزيس اسمعي دعوتي هذه ولو أنك تحرمينني أشياء أقل قيمة ووزناً ، يا إيزيس الطيبة ، أجيبي دعائي .

إرس : آمين ، أيتها الإلهة الطيبة أجيبي دعوة الناس .

شراميان : آمين .

أنوبارباس : صمتاً ها هو ذا أنطونيو قادم .

شَراميان : كلا ليس هو بل هي الملكة .

(تدخل كليوبا

كليوباترا : هل أبصرتم سيدي ؟

أنوبارباس : كلا يا مولاتي .

كليوباترا : ألم يكن هنا ؟

شرامیان : كلا يا مولاتي .

كليوباترا : لقد كان مرحاً ولكن فجأة أخذ يفكر في أمور روما . يا أنوبارباس .

أنوبارباس : مولاتي .

كليوباترا : جده لي أين ألكساس ؟

ألكساس : أنا في خدمتك يا مولاتي ، ها إنه قادم .

كليوباترا : لن تبالي به ، هيا معي .

(يخرجان)

(يدخل أنطونيو ورسول وخدم)

الرسول : في البداية تقدمت فلفيا بجيشها .

أنطونيو : لتحارب أخي لوسيوس ؟ .

الرسول : نعم ولكن سرعان ما انتهت الحرب واضطرتهما مصلحة الدولة للصلح وتوحدا لمحاربة قيصر الذي انتصر عليهما بسرعة وطردهما من إيطاليا .

أنطونيو : ثم ماذا ؟ أخبرني بما هو أسوأ .

الرسول : إن الرسول الذي يحمل النبأ السيىء يسوءه كذلك الشخص المبلغ له .

أنطونيو : هذا حق إذا كانت هذه الأخبار تتعلق

بأحمق أو رعديد . أخبرني ما وراءك
فالرجل الذي يقول لي الصدق أرحب به
ولو كان في كلامه الموت كأنه يروي لي
حكاية شيقة .

الرسول : لابيناس ـ وهذا خبر سيء الوقع ـ قد غزا
آسيا مع جنوده حتى نهر الفرات وأعلامه
المنتصرة أضحت ترفرف على الربوع من
سوريا إلى ليديا وأيونيا في حين . . .

أنطونيو : تقصد أن تقول أنطونيو . . .

الرسول : عفواً يا سيدي .

أنطونيو : إذن أفصح ولا تلطّف ما يتكلم به الناس
عني ، وأخبر كليوباترا ما يقوله الناس عنها
في روما ، واذكر بصراحة ألفاظ الشتم
التي يوجهونها هم وفلفيا إليّ ، وتنديدهم
بمعبودتي ما وسع الكره أن يملي ؛ فحقاً
إن نشاط عقولنا لا يلبث أن يخبو إذا لم
نغذه بالصدق ، وإن ذكرانا عيوبنا ليطهرها
كي تصبح مصدراً للأفكار القيمة والآراء
السديدة . وداعاً الآن لفترة قصيرة .

الرسول : تفضل سيدي .

(يخرج)

أنطونيو : أين الرسول من سيون لينبئنا بالأخبار ؟

التابع الأول : أين هو ؟

التابع الثاني : هو في انتظار أوامر سيدي .

أنطونيو : أحضره هنا . يجب أن أحطم هذه الأغلال المصرية ، وإلا في حبي الطائش لها ، كان هلاكي .

[يدخل رسول ثان]

من أنت ؟

الرسول الثاني : فلفيا زوجتك قد ماتت .

أنطونيو : أين ماتت ؟

الرسول الثاني : في سيون ، ومن هذا الخطاب تستطيع أن تعرف مدة سقمها وما عانته وكل ما تهتم لمعرفته .

(يناوله خطاباً) .

أنطونيو : دعني الآن .

(يخرج الرسول الثاني)

لقد قضت نفس زكية ! ولقد كنت أتمنى ذلك ، ولكن عندما نكره شيئاً ونطرحه جانباً فنعود ملهوفين إليه ، وإن سعادة المرء في يومه مع تبدل الظروف وحوادث الأيام يستحيل ألماً الآن عرفت كل خصالها الطيبة . يجب أن أقطع علاقتي بهذه الملكة الساحرة ، فإن خضوعي وركوني إليها سيجلبان عليّ الضرر كثيراً . يا أنوبارباس .

(يعود أنوبارباس)

أنوبارباس : نعم سيدي ؟ .
أنطونيو : يجب أن أغادر هذا المكان فوراً .
أنوبارباس : إذن سنقضي على نسائنا من الحزن . فهنَّ يتألمن لفراقنا .
أنطونيو : يجب أن أرحل .
أنوبارباس : حسناً إذا كان من الضرورة هذه التضحية فلتمت النساء ، ويجب أن ينحين جانباً ولا يلتفت إليهن . وإن كليوباترا لو عرفت بهذا الرحيل ، ستموت فوراً . ولقد رأيتها تكاد يقضي عليها لأمر أقل أهمية من ذلك .
أنطونيو : إنها أكثر دهاء مما يظن الإنسان .
أنوبارباس : أنا أخالفك في هذا يا سيدي إن عواطفها خالصة للحب لا عيب فيه ، فإنه عند غيرها تنهداً ودموعاً وعندها رياح وأعاصير وهذا تظاهر منها بغير الحقيقة .
أنطونيو : ليتني لم أرها !
أنوبارباس : إذن كانت تفوتك رؤية قطعة فنية عجيبة ، ولو لم يصادفك حسن الحظ ورأيتها للوثت سمعتك كسائح في أقطار العالم .
أنطونيو : لقد ماتت فلفيا .
أنوبارباس : سيدي ؟
أنطونيو : أجل ماتت .

أنوبارباس : فلفيا !

أنطونيو : ماتت .

أنوبارباس : إذن تقدم بقربان شكر للالهة على ذلك ، فإذا ما سر الآلهة قبض روح زوجة إنسان - لتظهر عطفها عليه ليتزوج بغيرها مثل الخياط الذي يعد الثوب الجديد بدلاً من القديم . وهذا المصاب فيه بعض التسلية والعزاء ، إذ بموتها ، لك فرصة لتتزوج أخرى ، ولا داعي لذرف الدموع عليها .

أنطونيو : ولكن موتها يسبب لي مشاغل في شؤون الدولة حتى لا أستطيع أن أغيب عنها .

أنوبارباس : ولكن هناك بعض الأمور لا تستقيم بدونك ، وبخاصة شؤون كليوباترا ، وهذه الأمور يتوقف كل مصيرها عليك .

أنطونيو : دعك من هذه السخرية وأبلغ ضباطي بعزمي ، وسأخبر الملكة بعزمي على الرحيل وأستأذنها في السفر ، إذ يضطرني إلى ذلك موت فلفيا بالإضافة إلى مهام الدولة العظيمة التي تدعوني وتلح في ذلك ، ورسالات إخواني بروما المخلصين لي ، كل هذا يستحثني للعودة إلى الوطن ، فإن سيكتاس بومبيوس قد

اعلن الحرب على قيصر ، وكل القوة في البحر له ، وإن شعبنا الذي لا يستقر على حال في رأيه ، تخلى عن طاعة بومبيوس العظيم ، وأظهر الولاء لابنه وهو يمجده الآن ويخلع عليه أثواب الشهرة والعظمة التي كانت لوالده ، ولو لم يصدم ادعاؤه بأنه أقوى جندي في العالم لأصبحت الإمبراطورية كلها في خطر . والشر يجب أن يقضى عليه في مبدئه قبل أن يستفحل ويصبح علاجه مستحيلاً ، أخبر كل تابعيّ برحيلي عن مصر .

(يخرجون)

المشهد الثالث

قصر كليوباترا ـ ناحية أخرى من القصر

(تدخل كليوباترا وشراميان وإرس وألكساس)

كليوباترا : أين هو ؟

شراميان : لم أره بعد .

كليوباترا « إلى ألكساس »: فتش عنه وانبئني عمن معه ، وعما يشغله دون أن يدري أني بعثتك فإذا لقيته حزيناً مهموماً أخبره اني أرقص ، وإذا كان سعيداً مبتهجاً فأخبره بأني فوجئت بمرض ، هيا على عجل وعد .

(يخرج)

شراميان : سيدتي إذا كنت تحبينه بهذا القدر ولكنك لا تستعملين الوسائط الصحيحة التي تثير فيه نفس الشعور بالحب .

كليوباترا : وما الذي يجب علي عمله ولم أعمله ؟

شراميان : أطيعيه في كل أمر ، ولا تخالفيه في شيء .

كليوباترا : إن مشورتك مشورة امرأة مجنونة قد تؤدي إلى أن أفقده .

شرامیان : لا تبالغي في التنكر له ، بل اجتنبي ذلك ! ها هو ذا أنطونيو آت .

(يدخل أنطونيو)

كليوباترا : [إلى شراميان] سأدعي الحزن والمرض .

أنطونيو : يؤسفني أن أبوح بعزمي .

كليوباترا : دعيني يا شراميان أعتمد عليك لئلا أسقط مغشياً عليَّ ولا أستطيع تحمل هذا الألم إلى الأبد .

أنطونيو : [يلوم نفسه] والآن يا أعز ملكاتي .

كليوباترا : أرجوك أن تبقى بعيداً عَني .

أنطونيو : ما الذي حدث ؟

كليوباترا : إني أعرف من ملامحك أن لديك أنباء سارة . ماذا تقول لك زوجتك ؟ ارحل . وكنت أتمنى أنها لم تأذن لك بالقدوم إلى هنا . فلا تجعلها تعتقد أني أنا التي حجزتك هنا ، فليس لي سلطان عليك وأنت لها .

أنطونيو : تعلم الآلهة خيراً مما نعلمه .

كليوباترا : ليس هناك ملكة خدعت مثلي ، مع أني كنت متيقظة للخيانة المدبرة لي .

أنطونيو : كليوباترا . . .

كليوباترا : ولا أظن أنك تكون ملكاً لي ، حتى لو

أقسمت الأيمان التي تزلزل عروش الآلهة
وقد حنثت في يمينك لفلفيا ؟ إنه لجنون
مطبق أن يسمح المرء لنفسه بتصديق
الأيمان الفارغة التي لا ينطق بها الإنسان
إلا ليحنث بها .

أنطونيو : يا أجمل الملكات . . .

كليوباترا : أرجوك أن لا تلتمس الأعذار لرحيلك بل
ودع وسافر . كنت ملحاً على البقاء هنا
في خطبك وأحاديثك ولم تكن تفكر حينها
في الرحيل وكنت تقسم على ذلك
بالأيمان المغلظة حتى ظننا أننا لن نفترق
إلى الأبد، وكان ذلك بادياً على شفاهنا
وأعيننا ، ومن جوارحنا وبدا لنا كل شيء
عظيماً مهما كان تافهاً . وقد بقيت على
هذه الحال إلى الآن ، إلا إذا كنت وأنت
أكبر جندي في العالم قد استحلت ،
فصرت أكبر مخادع فيه .

أنطونيو : وكيف كان ذلك يا سيدتي ؟ .

كليوباترا : ألا ليت لي قامتك وقوتك . لوجدت
شجاعتي قادرة على إخضاعك وإذلالك .

أنطونيو : إصغي إليَّ أيتها الملكة . هناك بعض
الظروف تضطرني إلى الرحيل ولكن حبك
سيبقى في قلبي . لقد قامت الثورة ،

واشتعلت الحرب في إيطاليا : فسيكتاس بومبيوس يزحف بجحافله على ميناء روما . هذا بومبيوس الذي ورث الشهرة عن أبيه أصبح محبوباً من الناس وخاصة من والده ، فتسلل حبه إلى قلوب الفئة التي لم تنل الذين لم يحظوا بشيء من الحكومة الحاليه، ولكن لا يهمني من ذلك كله إلا موت فلفيا، وهذا يعني أن ذهابي يجب ألا يقلقك .

كليوباترا : ولو أن سن الرشد لم يستطع تعليمي الابتعاد عن الطيش في الحياة فإنه يعلمني أن لا يبلغ الطيش مني أن أصدق ما تقوله عن موت فلفَيا . هل ماتت فلفيا حقاً ؟

أنطونيو : لقد ماتت يا ملكتي . انظري هذه [يعطيها رسالة] وفي وقت فراغك اقرئي عن الثورة التي أحدثها موتها . واقرئي أيضاً ، يا أحب الناس عندي ، متى ماتت وأين كان ذلك .

كليوباترا : أيها الحبيب المخادع أين ذهبت أيمانك المقدسة التي ذرفت معها دموع الحزن ؟ . لقد وضح لي كل شيء الآن وضوحاً تاماً وظهر لي كيف تقابل خبر موتي بالقياس إلى ما ظهر منك عندما

سمعت خبر موت فلفيا .

أنطونيو : خففي من مشاكستك ، واستعدي لتسمعي ما عزمت عليه وأخبريني برأيك فيه ، وسيتوقف تنفيذي لغرضي أو الإقلاع عنه على ما تسدينه لي من النصيحة . وإني لأقسم بالشمس التي تحدث الخصب في رواسب ماء النيل أني سأبرح هذا المكان وما زلت جنديك وخادمك . وسأعلن الحرب أو أفاوض في السلم وفق مشورتك .

كليوباترا : اقطعي يا شزاميان أربطة ردائي بسرعة . لا ، اتركيها ؛ فإنه سرعان ما يعتريني المرض ، وسرعان ما يذهب عني . هكذا يحب أنطونيو !

أنطونيو : يا ملكتي الغالية ، كفى . وثقي أن حبي لك قوي عميق لا تؤثر فيه الحوادث مهما كانت عاصفة .

كليوباترا : هكذا قالت لي فلفيا . أرجوك أن تتنحى بعيداً وتبكي من أجلها ثم ودعني وتظاهر بأن هذه الدموع من أجل ملكة مصر . يا رفيقي العزيز هل تستطيع المبالغة في التصنع ، بحيث يبدو حقيقياً ؟

أنطونيو : ستثيرين غضبي ، كفى .

كليوباترا : ليس هذا صعباً وباستطاعتك أن تقوم به .

أنطونيو : وحق سيفي . . .

كليوباترا : يجب أن تضيف ودرعي . انظري يا شراميان إنه يتحمس ولكنه لم يصل غاية جهده بعد . تأملي كيف يستطيع هذا الشجاع الروماني أن يظهر كل محاسن الغضب الذي يمثله .

أنطونيو : سأتركك يا سيدتي .

كليوباترا : أيها السيد المهذب اسمح لي بكلمة : أنا وأنت يا سيدي يجب أن نفترق ، ولكن ليس هذا ما أردت قوله . لقد أحب كلانا الآخر ، ولكن ليس هذا هو ما أفكر فيه ، وأنت تعرف ذلك تماماً وإنما هناك أمر هام أرغب أن أقوله : يا ويحي من ذاكرتي التي تخونني كما يخونني أنطونيو ! إنني أنسى كل شيء .

أنطونيو : لو لم يكن من شأنك كملكة أن تكوني كسولاً لاعتبرتك الكسل مجسماً .

كليوباترا : تستطيع أن تمزح كما تشاء ، وما يسرك أن تسميه كسلاً مني هو في الواقع حزن يكاد يسحقني ولو أني أدعي السخرية منه ، ولكن سامحني يا سيدي ، حيث ان الصفات التي أزهو بها هي نفس أسباب

تعذيبي عندما تظهر أمام عينيك غير
لائقة . إن شرفك يدعوك للرحيل من هنا
لذلك لا تصغ إلى طيشي الذي لا يستحق
الشفقة . ولترحل تحرسك عناية ـ الآلهة
ورعايتها، وليكتب لسيفك النصر ! ولتنثر
أزهار النجاح والظفر تحت قدميك !

أنطونيو : فلنرحل إذن ، ولو ابتعد بعضنا عن بعض
فإن روحينا تعيشان معاً ، فأنت هنا
وروحك رفيقتي ، وأنا راحل وروحي باقية
عندك .

(يخرجون)

المشهد الرابع

. روما ـ منزل قيصر

(يدخل أوكتافيوس قيصر « وهو يقرأ خطاباً » وليوبدوس وحاشيتهما)

قيصر : أنت ترى يا ليوبدوس ، ويجب أن تعلم أنه ليس من صفات قيصر الطبيعية أن يكره ويبغض . غير أن الأخبار عن شريكنا في الحكم الذي بالإسكندرية تدل على أنه يقضي وقته نهاراً في صيد السمك أو احتساء الخمر وليلاً في المرح والطرب ، وهو في ذلك ليس أكثر رجولة من كليوباترا ولا ملكة البطالسة أكثر خنوثة منه وقل أن يتنازل ويصغي إلى سفرائنا ولا يتلطف بأن يعاملنا بوصفنا شركاء له في الحكم ، وإنك لتجد هناك رجلاً خلاصته كل الرذائل التي تصم الإنسان بوصمة العار .

ليوبدوس : إني أعتقد أن ما به من الرذائل لا يحط من كل صفاته الطيبة وحسناته ، وأن عيوبه مثلها كمثل النجوم لا تسطع إلا في الليالي المظلمة ، وأنها ترجع إلى أسلافه لا إلى

نفسه ، ولا يستطيع أن يغيرها باختياره .

قيصر : لقد أكثرت من غفرانك . فلنفرض أن الخطأ لم يكن خطؤه إن أحبّ ابنة البطالسة ، وتنازل عن مملكته من أجل الإغراق في اللهو والمرح والجلوس على ذات المائدة مع الرعاع من القوم وتبادل كؤوس الخمر معهم ، والتسكع في الشوارع ظهراً وهو يترنح من السكر ، وأن يلطم كالرعاع ذوي العرق المنتن ، فقل أكان كل هذا يناسبه ؟ أللهم إلا إذا كان رجلاً شريف الطباع فوق الوصف. ومع ذلك فمن المستحيل أن يكون لأنطونيو عذر فيما ارتكبه ، وتركنا نتحمل ما تحملناه من الأعباء بسبب طيشه ، وقد صرف وقته في الانهماك في اللذات يجب أن يعاقب عقاباً كافياً ، وليتحمل الآلام وهي النتيجة الطبيعية لذلك .
ولكن ضياع وقت كهذا وتستدعي حالتنا وجوده تجعله مستحقاً للتأنيب كما يؤنب تلاميذ المدارس لمعرفة ما هو خير لهم ، تراهم على استعداد للتضحية بتجاربهم من أجل سرور آني كان يجب أن يربأ بهم حزمهم عنه وتثور حكمتهم عليه .

(يدخل الرسول)

ليوبدوس : هناك أخبار بعد .

الرسول : لقد بلغت أوامرك ، وستصلك الأخبار في كل ساعة عن الأقطار البعيدة ، فبومبيوس قوي في البحر وهو على ما يظهر محبوب من أولئك الذين يخشون بأس قيصر . ويلجأ المتذمرون إلى الثغور وتدور الشائعات بين الناس بأن بومبيوس قد ظلم كثيراً .

قيصر : كان يجب ألا أعرف أقل من ذلك . ولقد تعلمنا أنه منذ أقدم العصور يتمتع الرجل بالسلطان ما دامت سلطته مؤيدة ، كما أن الرجل الذي خانه الحظ فنزل به إلى الحضيض لا يعترف له بسلطان إلا في الوقت الذي يحتاج فيه إلى ذلك ، وأن العامة في ذلك مثلهم كمثل مشردي الإنسانية الذين لا يستقر لهم قرار ! فهم كزهرة السوسن التي يعبث بها الموج في مجرى النهر ، إذ يتبعون هذا وذاك ، كالخادم الذي يجري وراء سيده حتى ينهكه التعب .

الرسول : وإني أنبئك بأن مينكراتاس وميناس من لصوص البحار المشهورين يجوبون البحار بسفنهم الكثيرة ، وكأن البحار خلقت

لمثل أغراضهم السافلة فيشنون الغارات الوحشية الكثيرة على إيطاليا . وسكان الشواطىء تأخذهم الرهبة فتفقدهم حواسهم ويضطربون من جراء ذلك . والشبان الطائشون من المملكة يفرون للالتحاق بهم ولا تكاد سفينة على ما بها من الحذر تبدو حتى تؤسر فإن اسم بومبيوس يورث الرهبة والرعب في القلوب أعظم مما لو قوبل وجوبه .

قيصر : يا أنطونيو اترك ملاذك الشهوانية فعندما خذلت في مودينا حيث قتلت هيراتس وبنسا القنصلين اللذين اقتفيا أثرك وأعقب ذلك المجاعة التي حاربتها ، على ما بك من ترف في التربية ، بكل قوة وثبات ، وتحملت ما يتحمله الرجل المتوحش : فلقد شربت من بول البهائم ، ونقع البرك الذي تأنف منه الدواب ، واستطاب فمك أسوأ ثمر العليق على أخس الأسوار ، وكنت كغزال غطى مرعاه الثلج فاستعاض عنه بقشر الأشجار ، ويقولون إنك أكلت وأنت على جبال الألب لحوماً غريبة يموت المرء من مجرد النظر إليها . إني أذكر كل ذلك لأقارن بين حالتك حينها وحالتك الآن التي تلطخ شرفك ، فإنك حينئذٍ

سرت سيرة الفارس الشريف ولم تفقد
وجنتاك نضارتهما .

ليوبدوس : وارحمتاه له !

قيصر : يجب أن تدفعه مخازيه إلى روما سريعاً ،
وقد حان الوقت أن نظهر نحن الاثنين في
ساحة المعركة . ولهذا يجب أن ندعو
مجلساً على عجل لأن بومبيوس يسود
بسبب تراخينا .

ليوبدوس : في الغد يا قيصر سيكون لدي ما أخبرك به
عن المعدات البحرية والبرية التي جهزتها
لمواجهة الظروف الحاضرة .

قيصر : وإلى أن تحين هذه المقابلة سأنصرف
للتيقن من معرفة مواردي . وداعاً .

ليوبدوس : وداعاً يا سيدي وأرجو أن تخبرني بكل ما
يصلك عن أنباء الثورة والقلاقل .

قيصر : لا شك في ذلك يا سيدي ، وإني أعلم
أني مدين لك .

(يخرجون)

المشهد الخامس

الإسكندرية ـ قصر كليوباترا

(تدخل كليوباترا وشراميان وإرس ومراديان)

كليوباترا : يا شراميان .

شراميان : سيدتي

كليوباترا : ها ! ها ! أعطني شراب اللفّاح المخدر .

شراميان : ولم ذلك يا سيدتي ؟

كليوباترا : كي أستطيع أن أنام المدة الطويلة التي يغيب فيها أنطونيو عني .

شراميان : إنك تفكرين فيه أكثر من اللازم .

كليوباترا : إنها لخيانة !

شراميان : أرجو ألا يكون الأمر كذلك يا سيدتي .

كليوباترا : أيها الأغا مراديان !

مراديان : بم تأمرني صاحبة الجلالة ؟

كليوباترا : ليس الآن مجال الغناء يا شراميان . أين تظنين هو الآن أقائم هو أم قاعد ! أم ممتط صهوة جواده ؟
أيها الجواد السعيد الذي يظفر بجسم أنطونيو غليه ، ابذل كل قوتك وجهدك لأن فارسك هو ذلك الجبار الذي يحمل نصف

العالم على عاتقه ، إنه أشد الناس ساعداً ، وكأني به يقول أين ثعباني بمصر ؟ ـ إذ كان يدعوني كذلك ـ ألا إن التفكير فيه وفي محاسنه التي لا تشوبها شائبة تجعلني أشعر بمرارة فراقه حتى كأنني أتجرع السم . وهل يفكر في وجهي الذي لفحته حرارة الشمس ، وأحدثت فيه التجعدات العميقة؟ أيها القيصر ذا الجبين الوضاح عندما كنت هنا حيّاً كنت ملكة ، وكان بومبيوس العظيم يرمق بعينيه وجهي ، ويحدق فيه وكأني به لا يستطيع التحول عنه .

(يدخل ألكساس)

ألكساس : سلاماً يا ملكة مصر.

كليوباترا : ما أبعد الشبه بينك وبين مارك أنطونيو ! ولكن بما أنك عدت من عنده فإن خصاله الطيبة قد أكسبتك رواء . كيف حال أنطونيو الشجاع ؟

ألكساس : آخر شيء فعله هو إهداؤه لك هذه اللؤلؤة الشرقية مع القبلات الجمة وكلماته تعلق بذاكرتي .

كليوباترا : يجب أن تنزعها أذني من هناك .

ألكساس : لقد قال «يا صديقي العزيز قل إن

الروماني الثابت على حبه يرسل لك هذه اللؤلؤة الثمينة ، وإضافة ، فإنه كي يجعل هديته أكثر استحقاقاً للقبول سيضيف إلى سلطانها سلطان ممالك أخرى وستصبح سيدة كل الشرق » .
ثم سلم وركب بتؤدة جواداً جموحاً أخذ يصهل بصوت مرتفع حتى ان كلامي لم يسمع بسببه .

كليوباترا : أحزيناً كان أم مسروراً ؟

ألكساس : كان يشبه الوقت الذي بين الأيام الشديدة الحر والأيام الشديدة البرد لا مكتئباً ولا مسروراً .

كليوباترا : ما أحسن اتزان ميوله ! الحظي يا شراميان العزيزة : إن هذا هو شأن أنطونيو . الحظي إنه لم يكن مكتئباً لأنه يريد أن يسر من ينظر إليه ، ولم يكن مسروراً لأنه يريد أن يبث في نفس رفاقه أن مسراته تركها في مصر مع ذكرياته السارة ، حقاً إنه في آن ، الإنسان والملك وأكن له شعوراً خاصاً عن غيره ، هل قابلت رسلي ؟ .

ألكساس : نعم قابلت عشرين رسولاً . لماذا تتعجلين إرسال الرسل الكثيرة ؟

كليوباترا : إن من يولد في يوم لا أرسل فيه رسولاً

لأنطونيو سيموت شحاذاً سيىء الحظ .
عليَّ بالمداد والقرطاس يا شراميان .
مرحباً يا ألكساس الطيب ، هل أحببت يا
شراميان يوليوس قيصر هكذا ؟

شراميان : قيصر ذلك الشجاع ؟

كليوباترا : فلتخمد أنفاسك إذا أطريت قيصر بمثل
هذا المديح المؤكد .

شراميان : قيصر البطل المغوار !

كليوباترا : وحق إيزيس لأدمينّ فاك لو وازنت قيصر
برجلي الذي هو سيد الرجال .

شراميان : عفو جلالتك فإني أحذو حذوك .

كليوباترا : لقد قلت هذه الكلمات عندما كنت فتاة
صغيرة السن ، وعندما كانت قوة حكمي
على الأمور غير ناضجة ، ولا بد أن
تكوني جامدة الشعور حتى تذكري ما قلته
حينئذ . ولكن هيا فأحضري حبراً
وقرطاساً ، وسأرسل له كل يوم تحيات
كثيرة وإلا سأهلك سكان مملكتي .

(يخرجون)

الفصل الثاني

المشهد الأول

مسينا ـ منزل بومبيوس

يدخل بومبيوس ومنيكراتاس وميناس في ملابسهم العسكرية)

بومبيوس : إذا كانت الآلهة عادلة ، فستساعد الرجال العدول على النصر .

منيكراتاس : اعلم يا بومبيوس النبيل أنهم قد يمهلون ، ولكنهم لا يهملون مساعدتهم لنا .

بومبيوس : إن الإمهال في إجابة دعواتنا قد يقلل من قيمة ما نريده

منيكراتاس : إن جهلنا بحقيقة أنفسنا قد يجعلنا نطلب ما فيه ضررنا وهذا ما تحرمنا إياه القوى الحكيمة لصالحنا . ولهذا نستفيد من إجابة دعواتنا .

بومبيوس : إني متيقن من النجاح لأن الشعب يحبني ، هذا إلى أني سيد البحار ؛ فإن قوتي آخذة في الصعود وإني أتنبأ بأنها لا تلبث أن تصل إلى ذروتها ، فهذا مارك ـ

أنطونيو يجلس في مصر على الموائد ولا يشن غارة خارج هذه الديار وقيصر يكسب المال ويخسر قلوب الرجال الذين يغتصبه منهم ، وليوبدوس يتملق الاثنين ، ويمتلقانه ، ولكنه لا يحبهما ولا يعبأ كل منهما به .

مينـاس : إن قيصر وليوبدوس على رأس جنودهما في الميدان وجحافلهما عظيمة القوة .

بومبيوس : كيف عرفت هذا ؟ إنه لكذب .

مينـاس : ومن سلفيس يا سيدي .

بومبيوس : إنه يحلم . إني أعلم أنهما بروما معاً ينتظران قدوم انطونيو للانضمام إليهما ، ولكن شفتي كليوباترا اللعوب تفيضان الجمال حتى على شفتيك اللتين فقدتا جمالهما الأول ! إنها توقع أنطونيو في حبائلها بالملاذ ، وتأسر عقله بخمرها وولائهما ، وطهاتها تزيد في حرافة طعامها بإضافة مرق التوابل والأفاويه إليه فتزيد شهوته للأكل وتسترخي أعصابه وتنام فترخي على شرفه السدول ؛ وكأني به وقد اجترع شربة من ماء نهر النسيان .

(يدخل فرياس)

بومبيوس : ما وراءك يا فرياس ؟ .

فرياس : إني أكيد مما سأقوله ، إن مارك أنطونيو ينتظر مجيئه ساعة بعد أخرى في روما ، ربما أنه قد رحل من مصر وسيصل في وقت قصير .

بومبيوس : لقد كنت أعير أذناً صاغية امرأً أقل أهمية من هذا ؛ فما كنت أظن يا ميناس أن هذا العاشق المترف سيرتدي ملابس الجندي من أجل حرب صغيرة كهذه . إن قوته تضارع قوة الاثنين . ولكن معجب بنفسي التي جعلت قيام الثورة على يدي سبباً بلغ من أهميته أن أبعدت أنطونيو عما هو فيه من النعيم والمرح المتمتع بهما في مصر واللذين لا يتركهما أبداً .

ميناس : ليس من المنتظر أن يتقابل قيصر وأنطونيو مقابلة ودية لأن زوجة أنطونيو التي ماتت أزعجت خاطر قيصر كثيراً ، هذا فضلاً على أن أخاه حارب قيصر ولو أني أظن أن أنطونيو لم يحرضه على ذلك .

بومبيوس : لا أدري يا ميناس ، فربما نسيا العداوة اليسيرة ، وهما مهددان بعداوة أعظم خطراً ، ولولا أننا نهددهما لاختلفا فيما بينهما على الأرجح لأن هناك من الأسباب ما يدفعهما إلى ذلك ، ولكننا لا نعرف

تأثير خوفهما منا في تناسي ما بينهما
واتحادهما علينا وللمحافظة على حياتنا
يدعونا الواجب أن نحاربهما بكل ما لدينا
من قوة . هنا يا ميناس .

(يخرجون)

المشهد الثاني

روما ـ منزل ليوبدوس

(يدخل انوبارباس وليوبدوس)

ليوبدوس : إيه يا آنوبارباس الطيب أن تتمنى على قائدك أن يتكلم بألفاظ رقيقة هادئة فهذا عمل لائق بك .

نوبارباس : لا أعدك بأني سأجعله يقبل ذلك ولكني سأحضه على الإجابة اللائقة به، غير أن قيصر إذا أثاره فإنه سيعامله بمنتهى الاحتقار، ويرفع صوته عالياً، وحق إله الحرب لو كنت في مركز أنطونيو لازدريته عند مقابلته .

ليوبدوس : ليس هذا أوان الغطرسة والغضب .

أنوبارباس : لكل أمر أوان يناسبه .

ليوبدوس : لكن الأشياء التافهة يجب أن تذلل لما هو أكثر أهمية منها .

أنوبارباس : إذا كانت الأمور التافهة تأتي أولاً فهي ليست كذلك .

ليوبدوس : إن كلامك ناتج عن الغضب ، وأرجوك ألا

تثير الأحقاد القديمة ، ها هو ذا النبيل
أنطونيو قد حضر .

(يدخل أنطونيو وفنتدياس)

أنوبارباس : وهناك قيصر .

(يدخل قيصر ومسنس وأغريبا)

أنطونيو : إذا اتفقنا اتفاقاً مرضياً فسترحل إلى
بارثيا . انصت يا فنتدياس .

قيصر : لا أدري[1] . اسأل مسنس يا أغريبا .

ليوبدوس : أيها الأصدقاء الشرفاء ، إن الحوادث التي
كانت سبب اتفاقنا كانت عظيمة الخطر ،
فلا تجعلوا الأشياء الأقل أهمية سبباً في
فصم عرانا ، وليبد كل منا شكواه هادئاً .
لأننا إذا تحدثنا في أمورنا بغضب وتهيج
فإن الجروح التي نريدها أن تلتئم تقلنا ،
لذلك ، أيها الشركاء الشرفاء ، أرجوكم
أن تبحثوا في مطالبكم بهدوء ورفق ، وأن
لا تزيدوها بثورة الغضب .

أنطونيو : هذا كلام حسن ، ولو كنت أمام جيشي ،
ومستعداً للقتال لعملت به .

قيصر : أهلاً بك في روما .

أنطونيو : شكراً لك .

---

(١) هذا جواب لسؤال سأله مسنس عند الدخول .

قيصر : اجلس .

أنطونيو : اجلس أنت يا سيدي .

قيصر : حسناً ما دمت تريد ذلك .

أنطونيو : لقد بلغني أنك مستاء من بعض أعمالي التي لا تستحق التأنيب وإذا كانت تستحقها فهي لا تهمك لأنها شأن شخصي .

قيصر : إني لأستحق الاهانة إذا تكدر خاطري من لا شيء يصدر منك أو من أشياء تافهة ، ومنك خاصة ، واستحقها أكثر إذا تكلمت كلاماً غير لائق في وقت لا يهمني فيه ذكر اسمك .

أنطونيو : وما الذي يهمك من وجودي في مصر يا قيصر ؟

قيصر : لا يهمني وجودك بمصر أكثر مما يهمك وجودي بروما . ولكن إذا كنت هناك تكيد المكائد لسلطاني فإن وجودك بمصر يهمني

أنطونيو : وما الذي تقصد بالكيد لسلطانك ؟ .

قيصر : يمكنك أن تتنبأ بقصدي مما حصل لي هنا ، فإن زوجتك وأخاك حارباني وإن قتالهما لي كان بسببك ، ولقد زجا باسمك أثناء القتال .

أنطونيو : لقد أسأت فهم ما ذكرته؛ لأن أخي لم يقل إنني السبب في قتاله معك ، ولقد استقصيت الأمر ، واستقيت أخباره من مصادر موثوقة ألا يمكن أن يقال إنه إذا نال من سلطتك ، فإنه ينال مني ؟ وإنه قاتل ضد رغبتي ، وإن قضيتك هي قضيتي ، لأن مصالحنا متكافئة ، ولقد أقنعتك بخطاباتي من قبل ، فإذا أردت أن نتخاصم من أجل خواطر ، إذ ليس لديك ما يحملك على الخصام ، فابحث عن سبب آخر غير سلوك أخي .

قيصر : لقد مدحت نفسك بأن نسبت إليَّ سوء حكمي على الأمور ، على حين أن عذرك ضعيف .

أنطونيو : الأمر ليس كذلك . الأمر ليس كذلك ، وأنت تعتقد بأن الأمر يتعذر عليَّ فصالحي صالحك وإني أنظر بعين الرضا إلى هذه الحروب التي تنغص علي هدوئي . أما زوجتي فليت لك في غيرها نفس روحها القوية . إنك تسيطر على ثلث العالم وتستطيع أن ترعاه وتقوده أما زوجة كهذه فلا !

أنوبارباس : ليت لنا جميعاً مثل هذه الزوجة حتى تحارب النساء الرجال !

أنطونيو : إني أسلم متأسفاً أن الهياج الذي أثارته زوجتي بسبب شرود طبيعتها وعنادها ـ ولو أن هذا العناد يشوبه بعض المكر والدهاء ـ يجعل لك بعض الحق فيما تشكو من القلق الذي سببه لك ، ولكن يجب أن تعترف أنه لم يكن بإمكاني منعه .

قيصر : لقد أرسلت لك وأنت غارق في النعيم بالإسكندرية ، ولكنك وضعت رسائلي في جيبك ولم تقرأها ، وأنَّبت رسولي وطردته من حضرتك .

أنطونيو : سيدي : لقد دخل علي فجأة ، وبدون استئذان ، ولقد كنت في وليمة مع ثلاثة ملوك ، ولم أكن صاحياً من الخمر كما كنت في الصباح ، ولكني أخبرته في اليوم التالي عن حالتي ، وبأني لم أكن مالكاً لشعوري لدى مقابلتي له باحتقار ، وكان هذا بمثابة اعتذار له ، فلا تجعل سلوكي مع هذا الرجل سبباً في خصامنا .

قيصر : لقد تنكرت للعهد الذي ارتبطت به ، ولا تستطيع أن تقول إني أنا نقضته .

ليوبدوس : مهلاً قيصر !

أنطونيو : لا يا ليوبدوس دعه يتكلم ، إن ما يتكلم عنه من الشرف الآن ويدعي أني قصرت فيه ، هو أمر مقدس ، ولذلك أريد أن

أسمع كل ما لديه عن تقصيري ، فاستمر يا قيصر وأفصح عن العهد الذي ارتبطت به .

قيصر : ذلك هو أن تمدني بالسلاح والمعونة عندما أحتاجها ، وهو ما أبيته عليَّ .

أنطونيو : خير من ذلك أن تقول إني أهملت ذلك عندما استرقني اللهو والشراب وأفقداني طبيعة النبل والشرف اللذين هما من سجيتي وإني مع المحافظة على شرفي ، أعتذر عن هذا التقصير ولكن في حين أن عظمتي لا تعلن عن نفسها بدون صراحة ، فإن الاعتراف بعيوبي يجب ألا يغض من عظمتي ، والحقيقة أن فلفيا حاربت هنا لكي تستدعيني من مصر ، ولكن بما أني لا أعرف السبب الذي دعاها إلى ذلك فإني أطلب الصفح اللائق بشرفي في مثل هذه الحالة .

ليوبدوس : لقد أحسن الكلام

مسنس : أرجو أن لا تسترسلا أكثر من ذلك في غضب كل منكما من الآخر ومن الضروري نسيان ذلك بسبب الوضع الحالي وعليكما بالمصالحة .

ليوبدوس : هذا كلام حسن يا مسنس .

آنوبارباس : وإذا اتفقتما في هذا الوقت على أن تكونا صديقين يمكنكما أن تستأنفا عداءكما عندما تنتهيان من قهر بومبيوس وتبعدانه عن طريقكما وسيكون لديكما الوقت للخصام إذا لم يشغلكما شاغل آخر .

أنطونيو : ما أنت إلا جندي فحسب ، ولا تعرف شيئاً من مهام السياسة ، والأولى لك أن تصمت .

آنوبارباس : لقد كدت أنسى أنه يجب على المرء أن يصمت عند إسداء النصح للصديق .

أنطونيو : أنت تهين هذا الاجتماع الشريف وعليك أن تصمت .

آنوبارباس : نعم وستجدني في المستقبل صامتاً كالجماد لا أعي ولا أسمع .

قيصر : إني لا أعارض في كنه كلام أنوبارباس ، ولكن لا تروقني الطريقة التي يصوغه بها لأنه يتكلم بثرثرة في موضوع خطير ولكنه غير مخطىء فيما يقصده . وذلك أن نقطع علاقتنا بعضنا ببعض عند التغلب على بومبيوس إذ من الصعب أن تستمر صداقتنا ما دامت أغراضنا متناقضة ، ومع ذلك لو

أعلم أي رباط وثيق يربطنا ما تأخرت في التمسك به .

أغريبًا : اسمح لي يا سيدي القيصر أن أدلي برأيي .

قيصر : تكلم يا أغرايبا .

أغريبًا : لك أخت من والدتك يا أوكتاڤيوس المحبوب ومارك أنطونيو الآن أرمل .

قيصر : لا تقل ذلك يا أغرايبا ، فلو سمعتك كليوباترا لأنبتك على هذه الكلمات الطائشة .

أنطونيو : لست متزوجاً يا قيصر فاسمح لي أن أسمع بقية كلام أغرايبا .

أغريبًا : لكي تتوثق عرى الصداقة المتينة بينكما ، وتصيرا أخوين وتربط قلوبكما برباط لا تنفصم عراه - زوج أنطونيو أوكتاڤيا : أوكتاڤيا التي يستحق جمالها رجلاً من أحسن الرجال ، رجلاً لا ينافسه في نبل أخلاقه وجمال صفاته شخص آخر . وبهذا الزواج تختفي كل الأحقاد الصغيرة التي تبدو كبيرة ، وكل المخاوف العظيمة التي تنذر بالويل والثبور ، كل هذه تصير

هباء وكذلك كل الأمور التافهة ، هذا إلى
أن حبها لكل منكما سيقربكما كما أنه
يحقق حب الناس لكما وإني استمحيكما
العذر لإدلائي بهذا الرأي وهو ليس فجائياً
بل فكرت فيه طويلاً من قبل كما يقتضي
واجبي .

أنطونيو : هل لقيصر أن يتكلم ؟

قيصر : لا ، حتى أسمع رأي أنطونيو فيما قيل
الآن .

أنطونيو : ما هي قدرة أغرايبا على التنفيذ إذا قلت له
إني أقبل اقتراحك ؟

قيصر : قدرة قيصر ونفوذه عند أوكتاڤيا .

أنطونيو : إن اقتراحاً موفقاً كهذا يحل كل مشاكلنا
وإني أرحب به ، وأضع يدي في يدك
لأؤكد هذا العمل الجليل ، ومن الآن
سيغمرنا شعور الأخوة في أعمالنا ويتحكم
في مقاصدنا ومصيرها .

قيصر : هاك يدي ، وإني أهبك أختاً لم يحب
رجل أخته قدر محبتي لها . فلتعش
لتربط قلوبنا وممالكنا بعضها ببعض ،
وإني لأرجو ألا تنفصم عرى محبتنا
مطلقاً .

ليوبدوس : آمين . وأتمنى لكما السعادة والهناء .

أنطونيو : إني لم أفكر أبداً في أن أستل حسامي ضد بومبيوس لأنه غمرني بنعم وأفضال كريمة منذ وقت قصير ، وليس لي إلا أن أشكره ، وإلا جلبت على نفسي ملامة الرجل الناكر للجميل الذي يقابل الإحسان بالإساءة والتحدي .

ليوبدوس : إن الوقت يستحثنا على المضي لملاقاة بومبيوس حالاً ، وإلا فمن المؤكد أنه يتقدم بجيشه لمهاجمتنا .

أنطونيو : وأين هو ؟

قيصر : بجوار جبل مسنيم « رأس بكمبانيا » .

أنطونيو : ما مقدار قوته البرية ؟

قيصر : عظيمة وآخذة في الازدياد . أما البحر فهو المسيطر عليه دون سواه .

أنطونيو : هكذا يشيعون ، ليتنا تمكّنا من منازلته في معركة ، علينا الإسراع في الاستعداد للمعركة ، ولكن قبل ذلك لنسرع في تنفيذ الأمر الذي تم اتفاقنا عليه .

قيصر : بكل سرور ، وإني أدعوك لمقابلة شقيقتي وسأصحبك إليها .

أنطونيو : لا تحرمنا يا ليوبدوس من وجودك معنا .

ليوبدوس : أيها النبيل أنطونيو لا يستطيع أن يمنعني

من ذلك حتى الداء ذاته

[ترنيم أبواق ـ يخرج قيصر وأنطونيو وليوبدوس]

مسنس : مرحباً بقدومك من مصر يا سيدي .

إنوبارباس : يا مسس الشريف الذي يحبه قيصر كثير ويا صديقي النبيل أغرايبا .

آغرابيا : يا أنوبارباس الطيب .

مسنس : إنه ليفرحنا أن تكون الأمور قد استقامت على هذا الوضع .لقد استمتعت بمصر أيما استمتاع .

أنوبارباس : نعم يا سيدي لقد جعلنا النهار سباتاً ، واختفينا عن الأنظار ، وجعلنا الليل سروراً بالشراب .

مسنس : هل حقيقي أنكم كنتم تأكلون ثمانية خنازير برية عند الغداء ، ولم تكونوا أكثر من اثني عشر رجلاً ؟

أنوبارباس : هذا القدر كان ضئيلاً ضآلة الذبابة بالنسبة إلى النسر .

مسنس : الحق يقال إنها سيدة بغاية العظمة واللطف .

أنوبارباس : عندما قابلت أنطونيو أول مرة عند نهر سيدنس استولت على قلبه كما يستولي المرء على نقود ويضعها في كيسه .

أغريبّا : وهناك قابلته بكل عظمتها . اللهم إلا إذا كان من أخبرني خيالياً في وصفه .

أنوبارباس : هاك القصة : إن السفينة التي قدمت عليها كانت كعرش تراق ، وكانت تتلألأ كأنها لهب النار ، فالمؤخرة مصنوعة من الذهب المطروق ، والشراع من نسيج بنفسجي اللون ويفوح منها أريج العطر الذي جذب قلب الرياح حتى كادت يغمى عليها من شدة الهيام بها ، أما المجاذيف فكانت من خالص الفضة وتقذف المياه على ترنيم الآلات الموسيقية حتى جعلت المياه التي دفعتها تزداد سرعة كأنها تعشق ضرباتها ؛ أما شخصها فكل وصف يعجز عنه ، وكانت مضطجعة في مقصورتها التي تزينها الخيوط الذهبية ؛ أما قوام جسمها فيفوق تمثال إلٓهة الحب « فينوس » الذي جعله خيال مفتنه أكثر جمالاً من الخلقة الطبيعية ؛ وعلى جانبيها وقف غلامان جميلا المحيا وكأنهما رسولان من إلٓهة الحب « كيوبيد » المبتسمة وبأيديهم مراوح متعددة الألوان تثير الهواء فتشتد حمرة خديها بدلاً من أن تبردهما وكأني بهم وقد أثاروا الحرارة التي استخدموا لتخفيف وطأتها .

أغريبًا : ما أروعه من منظر في عيني أنطونيو!

أنوبارباس : أما نساؤها فكن كبنات إله البحر، كل منهن جميلة كعرائس البحر في الأساطير، وقد قمن بخدمتها يقظات وزدن في جمال الصورة بحركاتهن الرشيقة اللاتي كن يبدينها، وقد وقفت عند سكان المركب واحدة من هؤلاء، توجه السفينة وكانت حبال السفينة وأشرعتها تتيه عجباً، بملامستها لهذه الأيدي الناعمة التي تلامسها، وتفوح من السفينة روائح عطرية «لا يعرف مصدرها» فيتنشق رائحتها رجال الشواطىء المجاورة وقد خرج كل سكان المدينة لرؤيتها على حين كان أنطونيو جالساً وحده في السوق، يكلم الهواء لأنه لم يجد من يسمعه، ولولا خوفه من إحداث فراغ لذهب هو بنفسه لرؤية كليوباترا، وأحدث خرقاً في الطبيعة[1].

أغريبًا : إيه أيتها المصرية النادرة!

أنوبارباس : عندما نزلت من السفينة أرسل أنطونيو يدعوها للعشاء معه، فأجابته بأنه الأولى به أن يكون هو ضيفها، وألحت في

(١) أشار إلى بديهية في فلسفة أرسطو في ذلك الوقت وهي أن الطبيعة تكره الفراغ.

الطلب . عند ذلك لم يسع أنطونيو ذو الآداب الراقية والذي لا يرفض طلب أية سيدة ، إلا أن يذهب إلى الوليمة بعدما أصلح من شأنه ، وبالغ في تجميل نفسه ، فدفع قلبه ثمناً لأكلته ، وبلغ من إعجابه بمضيفته إعجاباً عظيماً أن جعل يطيل النظر إليها ، فاشتغل بذلك عن الأكل ولم يتذوقه .

أغريبًا : ما أعجبك أيتها الملكة الشابة !

أنوبارباس : لقد رأيتها مرة تثب أربعين خطوة في الشارع العام ، وعندما تضايقت أنفاسها تكلمت وهي تلهث فكان عدم استطاعتها الكلام بدون أن تلهث مما زاد في حسنها ، وكأني بالكلمات تلفظ الجاذبية والإغراء .

مسنس : يجب أن يدعها أنطونيو نهائياً .

أنوبارباس : لن يفعل ذلك أبداً ، إن التقدم في السن لن يزيل نضارتها ولا التعود على رؤيتها يقلل محاسنها العظيمة التي لا نظير لها بين النساء الأخريات تفعمهن الشهوات التي يثرنها ، أما هي فلا تنال كثرتها من جمالها بل إنها لتزيد الفؤاد هياماً بها ، وشغفاً بالإقبال عليها والصفات التي قد

تكون في ذاتها خبثاً وسفالة تصبح عندها أكثر بهجة وجمالاً . حتى ان رجال الدين يباركون رعونتها .

مسنس : إذا اطمأن قلب أنطونيو إلى الجمال والحكمة والعفة فإن أوكتافيا ستكون نصيباً مباركاً له .

أغريبًا : هيا نذهب يا أنوبارباس الطيب ولتكن في ضيافتي مدة إقامتك بروما .

أنوبارباس : إني أشكرك يا سيدي بكل خضوع .

(يخرجون)

المشهد الثالث

روما في قصر القيصر

(يدخل أنطونيو وقيصر وأوكتافيا بينهما والخدم)

أنطونيو : سيضطرني مهام الدولة والواجبات التي يقتضيها مركزي أن أبتعد عنك .

أوكتافيا : وعندها سأركع وأصلي للآلهة من أجلك .

أنطونيو : أسعدت مساء يا سيدي ، يا أوكتافيا العزيزة لا تصغي إلى ما يشيعه الناس عن عيوبي لأني حتى في هذه الساعة لم أنظم حياتي بما يوافق مقتضيات الظروف ، ولكني سأنظم ما بقي منها تنظيماً حسناً ، أسعدت مساء يا سيدتي العزيزة، أسعدت مساء يا سيدي .

(يخرج قيصر وأوكتافيا)

(يدخل المنجم)

أنطونيو : والآن يا فتى ، يدل مظهرك على أنك تود العودة إلى مصر .

المنجم : ليتنا لم نحضر من هناك .

أنطونيو : عليّ بالأسباب إن استطعت .

المنجم : إني أعرف بذلك ببصيرتي ، ولا أستطيع أن أفصح باللسان عن هذا الشعور ، ولكن عليك أن ترحل إلى مصر ثانية .

أنطونيو : نبئني من سيكون أسعد حظاً وأرفع شأناً أنا أم قيصر ؟

المنجم : قيصر ، ولذلك يجب ألا تبقى بجانبه ؛ فإن الروح التي تشرف عليك وتحرسك هي روح لها غاية الشرف والشجاعة ولا مثيل لها ، وذلك عندما تكون الروح المسيطرة على قيصر بعيدة عنها حتى لا تزعجها ولكن بجواره تخضع روحه روحك وتقضي عليها قضاء مبرماً ، فابعد عنه ما استطعت إلى ذلك سبيلاً .

أنطونيو : كف عن هذا الكلام ، ولا تذكره لأحد .

المنجم : لم أقله لأحد غيرك ، ولن أقوله مطلقاً فإذا لاعبته في أية لعبة فلا بد أنك تخسر بسبب تفوق حظه الطبيعي حتى ولو كانت الظروف لصالحك ، وإن سمو أخلاقك وبهجتها لتنكسف عند بزوغه ،وإني أكرر قولي من أن روحك تخشى رعايتك وأنت قريب منه ، وبغيابه يظهر نبلها .

أنطونيو : هيا اخرج وأخبر فنتدياس أني أريد التكلم معه .

(يخرج المنجم)

وسيذهب إلى بارثيا . ولعمري إن المنجم سواء أكان يعرف صناعته أم نطق بما قاله صدفة ، إنه قال الحق حتى ان قيصر عندما يلعب بالنرد يأتي بالعدد الذي يريده ، وعندما نتنافس في الألعاب الرياضية تذوب مقدرتي أمام حظه ، وإذا سحبنا الأنصبة يكسب ، وعند صراع الديكة تغلب ديكته ديكتي ، وسمّانه عند حبسه في قفص مع سماني يغلبه على ما به من المرانة . سأرحل إلى مصر ، وإني وإن كنت سأقبل هذا الزواج حتى لا يضايقني قيصر فإن بهجتي وسروري ستبقى في الشرق .

(يدخل فنتدياس)

تعال يا فنتدياس يجب أن ترحل إلى بارثيا ، وقد أعددت أوراق اعتماد تعيينك هناك ، لوضع الأمور في نصابها فاتبعني وتسلمها .

(يخرجون)

المشهد الرابع

شارع روما

(يدخل ليوبدوس ومسنس وأغريبًا)

ليوبدوس : لا تتعبا نفسيكما أكثر من ذي قبل ، وأرجو أن تسرعا ، وسيتبعكما القادة لاحقاً .

أغرايبا : سننتظر حتى يقبل أنطونيو أوكتافيا قبلة الوداع ثم نتبعكما .

ليوبدوس : الوداع حتى أراكما في زي الجندية الذي يلائمكما تماماً .

مسنس : وسنكون وفق تقديري للزمن الذي يستغرقه قطع المسافة عند الجبل قبلك .

ليوبدوس : طريقكما أقصر أما أنا فمهامي تقتضي أن أسير في طريق دائري وعلى ذلك ستسبقاني بيومين .

مسنس : نتمنى لك يا سيدي النجاح .

ليوبدوس : وداعاً .

(يخرجون)

المشهد الخامس

الإسكندرية « قصر كليوباترا »

(تدخل كليوباترا وشراميان وإرس وألكساس)

كليوباترا : عليَّ بالموسيقى ، هذه الموسيقى هي غذاء الحزينة منا التي يشغلها الحب .

التابع : اعزفوا على الآلات الموسيقية

(يدخل مراديان ـ أغا القصر)

كليوباترا : لندع الموسيقى وحدها ، وهيا بنا إلى البليارد . تعالي يا شراميان .

شراميان : إن ذراعي يؤلمني ، وأفضل أن تلعبي مع مراديان .

كليوباترا : قد تستطيع المرأة أن تحسن اللعب مع أغا كما تحسنه مع المرأة ، تعال والعب معي يا سيد .

مراديان : على قدر ما أستطيع يا سيدتي .

كليوباترا : عندما يرغب المرء رغبة صادقة في اللعب ويقصر في النتيجة يكون معذوراً . لقد غيرت رأيي ولا أرغب في اللعب . عليَّ بأدوات صيد السمك وسأذهب إلى النهر وستخدع

نغمات الموسيقى البعيدة السمك ، وتنفذ صنارتي في خياشيمها الرطبة ، وكلما سحبت واحدة منها ظننتها أنطونيو وقلت مرحى ! مرحى ! لقد اقتنصت .

شرميان : كانت هذه التسلية حسنة عندما راهنته أن بإمكانك أن تصيبي صيداً أكثر منه ، وعندما شبك غطاسك سمكة مملحة في شصِّه وجذبها أنطونيو بحماس وقفز إلى البر .

كليوباترا : في هذه المرة وفي مرات أخرى ، لقد أضحكته حتى استلقى على قفاه ، وفي ليلة ضحكت منه حتى عيل صبره ، وفي الصباح الثاني أفعمته بالشراب حتى اضطر للنوم ثم غطيته بعباءتي وحملت سيفه الذي حارب به في فلپاي .

(يدخل رسول)

أقادم أنت من إيطاليا ؟ أسرع وانبئني بما لديك من الأخبار فإني بقيت منذ مدة طويلة لم أسمع خبراً .

الرسول : سيدتي ! سيدتي !

كليوباترا : هل مات أنطونيو؟ لو قلت ذلك أيها الشرير فإنك ستقضي على سيدتك ، ولكن قل : في صحة جيدة ، وطليق

: أهبك الذهب وأقدم لك أحسن جزء في يدي لتقبله . تلك اليد التي قبلها الملوك من قبل وكانت شفاههم ترتجف عند ذلك .

الرسول : إنه أولاً يا سيدتي سالم .

كلبوباترا : لقد استحققت ذهباً أكثر ، ولكننا يا فتى تعوَّدنا أن نقول عن الأموات أنهم سالمون . فإذا كان هذا ما أردت قوله فإن الذهب الذي كنت سأعطيكه سأذيبه وأصبه في حلقك الكريه المقالة .

الرسول : سيدتي النبيلة اصغي إليَّ .

كليوباترا : هات ما عندك سأنصت ، ولكن وجهك لا ينم عن بشائر طيبة ، فإذا كان أنطونيو طليقاً وبصحة جيدة فإن ملامحك الكئيبة لا تدل على أنباء سارة كهذه ، وإذا لم يكن أنطونيو سليماً معافى ، يجب عند تبليغك الخبر أن تصبح هيئتك كهيئة جنية سوداء الوجه مكللة بالأفاعي لا كهيئة إنسان عادي .

الرسول : هل تتكرمين بسماعي ؟

كليوباترا : يتخيل إليَّ أن أضربك قبل أن تتكلم ،

ولكن إذا قلت إن أنطونيو حي وإنه وصحته جيدة ، وإن علاقاته مع قيصر حسنة وليس خاضعاً لسلطانه فسأغمرك الذهب ، وأنثر عليك اللالىء الثمينة .

الرسول : سيدتي إنه بخير .

كليوباترا : كلام حسن .

الرسول : وصار صديقاً لقيصر .

كليوباترا : إنك رجل أمين .

الرسول : ولقد صار هو وقيصر أكثر صداقة من قبل .

كليوباترا : ستكون لك ثروة عظيمة مني .

الرسول : ولكن يا سيدتي .

كليوباترا : إني لا أحب « لكن » لأنها تقلل من قدر الأخبار الطيبة السابقة . تباً « للكن » فهي كسجان يقبض على مجرم عاتٍ ، أرجوك يا سيدي أن تبوح بكل ما عندك جملة واحدة ، طيبة كانت أم سيئة : إنه تصادق مع قيصر ، وإنه في صحة جيدة ، وإنه حر طليق .

الرسول : حر ! لا يا سيدتي ! لم أقل هذا لأنه ارتبط

مع أوكتاڤيا .

كليوباترا : ألا ترين يا شراميان أن لوني قد امتقع من هذا الخبر ؟ .

الرسول : سيدتي لقد بنى بأوكتاڤيا .

كليوباترا : فلتنزل بك أشد الأمراض فتكاً

(تضربه حتى يسقط)

الرسول : أيتها السيدة الطيبة صبراً .

كليوباترا : ماذا تقول ؟ أغرب من هنا

(تضربه ثانية)

أيها الشرير البشع سأقلع عينيك ، وأقذف بهما أمامي ككرتين وسأنزع شعر رأسك [تحمله ثم تقذف به إلى الأرض] وسأضربك بالسياط المصنوعة من الأسلاك الحديدية وسأقذف بك في الماء الملح وأبقيك تتعذب به مدة طويلة .

الرسول : أيتها السيدة الطيبة ما على الرسول إلا البلاغ ، ولم تكن لي يد في هذا الزواج .

كليوباترا : كذب أخبارك أمنحك مقاطعة ، وأزد في ثروتك ، وإن ضربي لك سيكون مكفراً لما أثرته فيّ من غضب ، وسأمنحك فضلاً على هذا ما تطلبه من الهدايا المعقولة .

الرسول : إنه تزوج يا سيدتي .

كليوباترا : أيها الشرير لا تستحق العيش

(تستل مدية)

الرسول : لا . إذن سأهرب . وما قصدك يا سيدتي ؟ إني لم أرتكب ذنباً .

شراميان : تخلقي بالخلق اللائقة بك فإن الرجل بريء

(يخرج)

كليوباترا : قد لا ينجو بعض الأبرياء من الصاعقة . فلتغمر مصر مياه النيل ولتنقلب كل المخلوقات أفاعي . نادي الشقي مرة ثانية ، وإني لن أوذيه برغم ما بي من الهياج .

شراميان : إنه يخاف المجيء .

كليوباترا : لن أوذيه .

(تخرج شراميان ومعها الرسول)

لا يليق بهذه اليد أن تضرب شخصاً أقل منزلة مني ، وبخاصة أني كنت السبب فيما أصابني .

(تعود شراميان ومعها الرسول)

أقبل يا سيدي . إنه ليس من المستحسن أن تنقل أخبار السوء ، ولو أن واجب الأمانة كان يقتضي ذلك . انقل الكثير من الأخبار السارة أما الأنباء السيئة فدعها

تتحدث عن نفسها عندما يشعر بوطأتها .

الرسول : لقد قمت بواجبي .

كليوباترا : هل حقاً تزوج ؟ لن أكرهك أكثر من قبل لو قلت « نعم » مرة ثانية .

الرسول : لقد تزوج يا سيدتي ؟

كليوباترا : عليك لعنة الآلهة ألا زلت مصمماً على أخبارك ؟

الرسول : هل لي أن أكذب يا سيدتي ؟

كليوباترا : يا ليتك فعلت حتى ولو كان في ذلك غمر نصف مصر بمياه النيل وصارت مأوى للأفاعي والثعابين . اغرب من هنا . ولو كان جمال وجهك فتاناً لأصبح في نظري بشعاً حقيراً . أمتزوج هو؟ .

الرسول : أعفيني يا سيدتي .

كليوباترا : أمتزوج هو؟

الرسول : لا تثوري مما لم يقصد به إغضابك وإن عقابك لي على أمر ترغمينني على ذكره ظلم ، لقد بنى بأوكتافيا .

كليوباترا : ما أشنع عمله ـ الذي جعلك شريراً في عيني مع أنك لست كذلك . ماذا ؟ هل أنت أكيد من ذلك ؟ اخرج من هنا . وإني لأرجو أن تثقل البضاعة التي أتيت بها من

روما كاهلك وتنوء تحتها وتهلك .

(يخرج الرسول)

شرامیان : صبراً يا سيدتي الطيبة !

كليوباترا : إن مدحي أنطونيو كان بمثابة ذم لقيصر .

شرامیان : كان ذلك في أغلب الأحيان .

كليوباترا : لقد نلت جزائي هيا بي من هنا. إني أشعر بإغماء يا إرس ، يا شرامیان ، ولكن هذا أمر لا يهم . اذهب إلى الفتى يا ألكساس واطلب إليه أن يصف ملامح أوكتافيا وسنها وميولها ، وذكر لون شعرها ، وعد لإخباري سريعاً [يخرج ألكساس] يهمني أن أرى أنطونيو مرة ثانية . لا . هذا مستحيل يا شرامیان حتى لو نظرنا إليه كأنه وحش مخيف، أو إله الحرب (إلى مراديان) قل لألكساس أن يخبرني عن طول قامتها ، أشفقي عليَّ يا شرامیان ولا تكلميني ، هيا بنا إلى مخدعي .

(يخرجون)

المشهد السادس

بقرب مسينيم

(إعلان بالأبواق ، يدخل بومبيوس ، وميناس في جانب ومعهما الطبول والأبواق وفي الجانب الآخر قيصر وأنطونيو وليوبدوس وأنوبارباس ومسنس والجنود سائرة)

بومبيوس : لقد تبادلنا الرهائن ، وسنتكلم قبل أن نتقابل بقواتنا .

قيصر : من الأفضل أن نتبادل الآراء ، وقد أرسلنا إليك كتاباً برأينا في هذا الأمر والمقاصد التي نريدها وعند تدبرك إياها أخبرنا : أكانت هذه الشروط تجعلك تخمد السيف الذي شهرته للثورة علينا ، وتعود هذه الجنود الشبان الأقوياء إلى صقلية بدلاً من أن يموتوا هنا ؟ .

بومبيوس : إليكم أوجه كلامي أيها الشيوخ الثلاثة الذين عهد إليهم تدبير هذه الأقطار الشاسعة ، فأقول إني لا أعلم لماذا يحتاج والدي لمن ينتقم لموته كما انتقمتم لموت يوليوس قيصر ، إذ اني ولده ما زلت حياً

وعندي أصدقاء يساعدونني في ذلك ،
ومنذ موقعة فلپاي حيث أزعج شبح قيصر
بروتس رأيتك تحاول الانتقام من قاتله ،
ولعمري ما الذي دعا كسايس ذا الوجه
الممتقع لأن يتآمر عليه ؟ وما الذي دفع
بروتس الروماني المحترم الشريف ومعه
غيره لأن يثوروا ويتسلحوا لنفس هذا
الغرض ؟ ـ أولئك الذين عشقوا الحرية .
وما الذي دعاهم لإغراق الكابيتول بالدم ؟
اللهم إذا كان عزمهم إلا أن يكون رجلاً
حاكماً فحسب لا مستبداً بشؤون الدولة .
وهذا هو ذات السبب الذي حملني على
إعداد سفني التي تخشاها أمواج البحر
الصاخبة انتقاماً لنكران الجميل الذي
أظهرته روما لوالدي الشريف .

قيصر : أكمل كلامك بصراحة .

أنطونيو : لا تستطيع أن تخيفنا يا بومبيوس بسفنك .
فسنقاتلك في البحر ، أما في البر فأنت
تعلم بأن جيشنا يفوق جيشك عدّاً.

بومبيوس : بدون شك لأنك اغتصبت منزل والدي
فأنت تشبه الوقواق الذي لا يبني لنفسه
عشاً وإنما يغتصب عش العصافير
الأخرى . فلتبق في هذا المنزل .

ليوبدوس : أرجو أن تغض الطرف عن الماضي ، وما رأيك بالعرض الذي قدمناه لك .

قيصر : هذا هو الموضوع .

أنطونيو : ولا نلح عليك في القبول ، وانظر إلى ما فيه صالحك .

قيصر : فربما كان ما تحصل عليه أعظم مما لو خاصمتنا .

بومبيوس : لقد عرضتم عليّ صقلية وسردينيا على أن أطهر البحار من القرصان وأن أرسل مؤونة من القمح إلى روما ، وإذا وافقت على هذا يسحب كل منا جيوشه بدون حرب ونرجع بأسلحتنا دون إهدار دماء .

قيصر
أنطونيو
ليوبدوس : هذه هي شروطنا .

بومبيوس : اعلموا إذن أني قدمت إلى هنا مستعداً لقبول هذا العرض ولكن مارك أنطونيو أغضبني كثيراً ، وإني سأروي لكم حادثة ، وربما خسرت بذكرها المدح الذي أستحقه بسببها : وذلك أنه عندما تحارب قيصر وأخوك لجأت والدتك إلى صقلية فأكرمت وفادتها هناك .

أنطونيو : لقد سمعت بذلك يا بومبيوس وإني مستعد

لشكرك دائماً على الدين الذي لك .

بومبيوس : أعطني يدك ولم أكن أفكر بأني سأجدك هنا .

أنطونيو : إن فراش الشرق وثير ، وإني شاكر لظروف الثورة التي عجلت بحضوري إذ نلت خيراً .

قيصر : لقد تغيرت عما رأيتك آخر مرة .

بومبيوس : لا أدري ما فعلته الطبيعة القاسية بوجهي ولكنها لا تستطيع أن تخترق قلبي حتى تجعل شجاعتي أسيراً لها .

ليوبدوس : مرحباً بك هنا .

بومبيوس : أرجو ذلك يا ليوبدوس ، اتفقنا وأطلب أن يكتب هذا كي نختمه بأختامنا .

قيصر : إنه الشيء الآخر الذي يجب عمله .

بومبيوس : سنتبادل الولائم قبل الرحيل . فهيا نقترع على ترتيبها .

أنطونيو : أوافق على ذلك يا بومبيوس .

بومبيوس : فليبدأ أنطونيو بأخذ قرعته ، وسواء أكانت الأولى أم الأخيرة فإنه سيكون « للطهي » المصري نصيبه من المدح الذي يستحقه ، إذ قد سمعت أن يوليوس قيصر أصابه السمن من هذا الغذاء المريء .

أنطونيو : لقد بالغت بما سمعته .

بومبيوس : إن قصدي حسن يا سيدي .

أنطونيو : ولقد عبرت عنه بكلمات حسنة .

بومبيوس : لقد سمعت هذا وسمعت أن أبولودورس حمّل . .

أنوبارباس : لا تقل أكثر من هذا فإنه فعل ذلك

بومبيوس : ما الذي حمله من فضلك ؟

أنوبارباس : حمل ملكة في حشية إلى قيصر .

قيصر : لقد عرفتك الآن . كيف حالك أيها الجندي ؟ .

أنوبارباس : بخير وعافية لأني أنتظر ثلاث ولائم مقبلة .

بومبيوس : اسمح لي أن أصافحك فلم أكرهك أبداً ولقد رأيتك محارباً وحسدتك على سلوكك .

أنوبارباس : سيدي لم أحبك غالباً ولكني مدحتك على أفعالك التي تستحق عشرة أضعاف مدحي لها .

بومبيوس : تمتع بصراحتك فإنها مناسبة لك أنتم ضيوفي في سفينتي فهيا تقدموا أيها السادة .

قيصر
أنطونيو
ليوبدوس : تقدموا أيها السادة

بومبيوس : هيا .

(يخرج الجميع ما عدا ميناس وأنوبارباس).

ميناس : (لنفسه) والدك يا بومبيوس لم يكن ليعقد مثل هذه المعاهدة. (إلى أنوبارباس) لقد تقابلنا يا سيدي .

أنوبارباس : في البحر على ما أظن .

ميناس : نعم يا سيدي .

أنوبارباس : لقد حاربت بشجاعة في البحر .

ميناس : وأنت في البر كذلك .

أنوبارباس : إن من عادتي أن أمدح أي رجل يمدحني ، ولو أن جهدي وشجاعتي في البر لا تنكر .

ميناس : كذلك فعلت أنا في البحر .

أنوبارباس : نعم ولكن هناك شيء يمكنك إنكاره حرصاً على سلامتك بأنك كنت لصاً في البحر .

ميناس : ولقد كنت كذلك في البر .

أنوبارباس : وعند هذا أنكر أعمالي البرية ، ولو أن لأعيننا سلطة لاستطاعت أن تقبض على لصين أصبحا صديقين حميمين .

ميناس : كل وجوه الرجال صريحة مهما اقترفت أيديهم .

أنوبارباس : لكن ليس هناك امرأة لها وجه صريح مهما تكن ملامحها حسنة .

ميناس : ليس هذا من قبيل التشنيع فإنهن يستعبدن القلوب .

أنوبارباس : لقد جئنا هنا لنحاربكم .

ميناس : أما من جهتي فإني آسف لأن المسألة انتهت إلى تناول الشراب وأن بومبيوس يضيع الفرصة التي سنحت له وذلك بعقده الصلح مع الحكومة الثلاثية .

أنوبارباس : أما وقد فعل فلا يليق به أن يحزن مرة ثانية من أجل فوات هذه الفرصة .

ميناس : صحيح ما ذكرت يا سيدي ولم نكن ننتظر مارك أنطونيو هنا . هل لك أن تخبرني أتزوج كليوباترا ؟ .

أنوبارباس : بل أخت قيصر المدعوة أوكتافيا .

ميناس : حقاً سيدي إنها كانت زوجة كسايس مرسلّاس .

أنوبارباس : ولكنها الآن زوجة مارك أنطونيو .

ميناس : اعذرني لأني لم أفهمك .

أنوبارباس : هذا حقيقي .

ميناس : معنى هذا أنه وقيصر قد ارتبطا إلى الأبد .

أنوبارباس : لو طلب إليّ التنبؤ بهذا الارتباط لعجزت .

ميناس : أظن أن هذا الارتباط روعيت فيه الظروف السياسية لا الحب المتبادل بين

الفريقين .

أنوبارباس : وهذا هو رأيي أنا أيضاً . وستجد أن الرباط الذي جمع شملهما في الظاهر ووثق عرى الصداقة بينهما سيكون هو ذاته معول هذه الصداقة وعاملاً على هدمها ، إن أوكتاڤيا امرأة عفيفة رزينة وهادئة الأخلاق .

ميناس : من لا يتمنى أن تكون امرأته على هذه الصفات ؟ .

أنوبارباس : هو ذلك المرء الذي لا يتصف بهذه الصفات وهذا هو مارك أنطونيو لأنه سيعود إلى معشوقته المصرية ثانية ، عندئذ تشعل تنهدات أوكتاڤيا النار في صدر قيصر وكما قلت لك من قبل ما كان سبباً في قوة صداقتهما سيكون السبب المباشر في افتراقهما . وسيحاول أنطونيو الحصول على مشتهاه من الحب حيث يجده ، إذ تزوج هنا للضرورات السياسية .

ميناس : ربما تكون الحال هكذا . هيا بنا إلى سطح المركب لأشرب نخبك .

أنوبارباس : أقبل ذلك منك ، ولقد تعودنا الشراب بمصر .

ميناس : هيا بنا نذهب .

(يخرجون)

المشهد السابع

« على سطح سفينة بومبيوس بالقرب من شاطىء مسنيم »

•(الموسيقى تعزف : يدخل خادمان أو ثلاثة حاملين أصناف المأكولات)

الخادم الأول : سيحضرون هنا وأقدام بعضهم غير مستقرة ، وستقذف بهم أهدأ الرياح إلى الأرض .

الخادم الثاني : إن وجه ليوبدوس محمر .

الخادم الأول : لقد ناولوه خمراً كثيراً ولم يك منه نصيب للفقراء .

الخادم الثاني : عندما يدفع بعضهم بعضاً للشراب يصيح ليوبدوس « كفى » ويدعي أنه تناول كل طاقته وهو راغب بالمزيد حتى يرى كل منهم الآخر ثملاً .

الخادم الأول : ولكن هذا الاندفاع في تناول الخمر يثير حرباً شعواء بين نفسه وحزمه .

الخادم الثاني : ومن يكون طموحاً يعرف عنه أنه يصاحب العظماء ، ومن الخير أن تكون لي قصبة لا فائدة منها من بلطة حرب لا أستطيع دفعها .

الخادم الأول : إنه مثل من يطلب إليه شغل مركز عال « مثل مركز ليوبدوس في الحكومة الثلاثية » ولا يستطيع النهوض بأعبائه كمثل محجر العين الخالية من المقلة فإن منظرها بشع يخطف جمال الوجه

(ترنيم من الأبواق ـ يدخل قيصر وأنطونيو وليوبدوس وبومبيوس أغرايبا ومسنس وأنوبارباس وميناس ومعهم ضباط آخرون)

أنطونيو : (إلى قيصر) هذا هو شأنهم يا سيدي إنهم يقيسون ارتفاع النيل بمقاييس في الهرم ويقدرون حال الجدب والخصب بحسب ارتفاع النهر وانخفاضه، وكلما ارتفع النيل زاد النماء . وعند انحسار ماء النهر يبذر الفلاح حبوبه ثم بعد وقت قصير يحصده ؟

ليوبدوس : هل عندكم أفاع غريبة ؟

أنطونيو : نعم يا ليوبدوس

ليوبدوس : الثعابين المصرية تتولد من الطمي بتأثير الشمس ، وهذا هو شأن التماسيح أيضاً ؟

أنطونيو : نعم هذه هي الحال .

بومبيوس : اجلسوا لنحتسي بعض الخمر ، اشربوا في صحة ليوبدوس .

ليوبدوس : لن تتوقف عن الشراب إلى حين الذهاب

إلى فراشك وحتى ذلك الحين ستظل تشرب .

ليوبدوس : لقد سمعت بحق أن أهرام بلاد البطالسة أشياء فخمة ، ولم أجد من يخالف هذا .

ميناس : (إلى بومبيوس همساً) كلمة يا بومبيوس .

بومبيوس : (إلى ميناس همساً) أهمسها ما هي؟

ميناس : (إلى بومبيوس على انفراد)أرجوك أن تبرح مكانك لتسمع مني كلمة .

بومبيوس : (إلى ميناس على انفراد) سأنصت لك بعد لحظة . هذه الخمر هي لإكرام ليوبدوس .

ليوبدوس : ما شكل هذا الحيوان الذي يسمونه التمساح ؟

أنطونيو : له شكل خاص به ، فإنه عريض قدر عرضه وطويل قدر طوله ويسير بأعضاء جسمه ، ويعيش مما يتغذى به وعندما تنقطع أنفاسه يتحول إلى مخلوق آخر .

ليوبدوس : ما لونه .

أنطونيو : لونه خاص به أيضاً .

ليوبدوس : إنه ثعبان غريب .

قيصر : هل يكتفي بهذا الوصف ؟

أنطونيو : إذا لم يعجبه هذا الوصف ، ولم يكتف به ، وعلى كل حال سيكتفي بالخمر التي جعله أنطونيو يشربها في صحته .

بومبيوس : (إلى ميناس على انفراد) يا لهوانك ! هل تتعمد إزعاجي بهذا الموضوع ؟ اذهب ونفذ الأمر أين الكأس التي طلبتها ؟ .

ميناس : (إلى بومبيوس على انفراد) هل لك أن تنصت إلي ؟ إخلاصاً مني في خدمتك قم من مقعدك .

بومبيوس : (إلى ميناس على انفراد) أظن أنك مجنون فما الخبر ؟ (يقوم ويسير إلى ميناس) .

ميناس : لقد كنت من تابعيك المخلصين دائماً .

بومبيوس : لقد خدمتني بأمانة عظيمة فهات ما عندك أيضاً . سأغيب لحظة استمروا في مرحكم أيها السادة .

أنطونيو : ابتعد عن الخمر يا ليوبدوس وإلا فقدت وعيك .

ميناس : هل تريد أن تكون سيد العالم ؟ .

بومبيوس : ماذا تقول ؟

ميناس : هل تريد أن تكون سيد العالم ؟ وإني أقول ذلك للمرة الثانية .

بومبيوس : ولكن كيف يكون ذلك مستطاعاً ؟ .

ميناس : أقبل الفكرة وأنا سأتصرف ، تظنني فقيراً ولكني سأمنحك العالم .

بومبيوس : هل أسرفت في الشراب ؟ .

ميناس : لا يا بومبيوس ، لقد تجنبت الكأس وأقول إنك لو عزمت لكنت سيد الأرض ، كما أن المشتري سيد السماء ، ستكون سيد جميع الأرض التي تحف شواطئها البحار ، أو تظلها السماء ستكون هذه تحت سلطانك إذا أردت .

بومبيوس : وكيف يكون ذلك ؟ .

ميناس : هؤلاء الحكام الثلاثة الذين ينافسونك الآن في سفينتك فاسمح لي أن أقطع سلاسل المرساة ، وعندما تكون في عرض البحر أقطع رقابهم وعند ذلك يصير الملك جميعه إليك .

بومبيوس : كان من الأفضل أن تتصرف ، ودون إعلامي بهذا ، وإلا لكانت خيانة ، وأما لو عملته أنت فإنه يكون خدمة طيبة ، إذ يجب أن تعلم أن شرفي لا تسوقه مصالحي ولكن مصالحي هي التي تسوق شرفي تأسف على حماقتك ، بأن تتكلم بدل أن تفعل ولو تم هذا العمل بدون

علمي لمدحت فعلتك فيما بعد ، وأما الآن ، أعرض عن الأمر ، واشرب . واشرب .

ميناس : (منفرداً) لذلك لن أتبعك لأن حظك بدأ بالأفول، ومن يجد في الطلب عليه أن يقتنص الفرص لأنها تمر مر السحاب وقد لا تواتيه مرة أخرى .

بومبيوس : هذه الكأس في صحة ليوبدوس .

أنطونيو : احملوه إلى الشاطىء وسأشربها بالنيابة عنه يا بومبيوس .

آنوبارباس : في صحتك يا ميناس .

ميناس : مرحباً يا أنوبارباس .

بومبيوس : املأ الكأس حتى الحافة .

أنوبارباس : (يشير إلى الخادم الذي حمل ليوبدوس) هاك فتى قوياً يا ميناس .

ميناس : لماذا ؟ .

أنوبارباس : إنه يحمل ثلث العالم هل فهمت ؟

ميناس : ثلث العالم إذن مخمور ، يا ليته كله مخمور فنسير سيراً هادئاً مطمئناً .

أنوبارباس : اشرب أنت كي تساعدني على زيادة هدوئه .

ميناس : كفى .

بومبيوس : هذه الوليمة لا تعد شيئاً بالنسبة إلى الولائم التي تعودتموها في الإسكندرية .

أنطونيو : إنها تنحو نحوها بسرعة ، افتحوا البراميل ، اشرب في صحة قيصر .

قيصر : خير لي أن أتوقف الآن ، إذ من الصعب صقل العقل عندما يكثر المرء من تدنيسه .

أنطونيو : اجعل نفسك في وئام مع الظروف .

قيصر : أجيبك بأنه عليّ أن أتحكم في الظروف وخير لي أن أصوم أربعة أيام عن تناول الخمر ، من أن أتناول مقداراً كبيراً كهذا في يوم واحد .

أنوبارباس : عجباً سيدي الامبراطور الشجاع (إلى أنطونيو) هل نرقص رقصة السكارى المصريين ، ونحتفل بمجلس شرابنا ؟

بومبيوس : علينا بها أيها الجندي الطيب .

أنطونيو : هيا نمسك بأيدينا بعضنا ببعض تغمرنا الخمرة السالبة لعقولنا .

أتوبارباس : فليمسك كل منكم بيد الآخر ، اعزفوا الموسيقى عالياً حتى أنظمكم ثم يغني الفتى ويردد كل منكم المذهب بأعلى

صوته .

(تعزف الموسيقى أنوبارباس ينظمهم بوضع يد كل واحد في يد الآخر)

(يرقصون ويغنون أغنية رب الخمور)

قيصر : ماذا تريدون أكثر من هذا ؟ سعدت مساء يا بومبيوس أخي الطيب ، أرجوك أن تترك السفينة وتذهب معي إلى الشاطىء ، لأن هذا الطيش يحط من قدر المهمة التي نحن بصددها . أسيادي النبلاء هيا نفترق إذ أنتم ترون خدودنا احترقت ، وأنوبارباس على ما به من القوة قد قهرته الخمرة، وقد ثملت حتى صار لساني يتلعثم عند النطق ، وإن عربدة الخمر هذه التي تسربلناها جعلتنا في مصاف المهرجين المضحكين ، ولا فائدة أن أقول أكثر مما قلت، طاب مساؤك يا أنطونيو الشريف هات يدك .

بومبيوس : سأتذوق وليمتك في البر .

أنطونيو : وهو كذلك يا سيدي هات يدك .

بومبيوس : يا أنطونيو لقد استوليت على منزل والدي ، ولكن دعك من هذا؛ فإننا أصبحنا أصدقاء؛ هيا انزل إلى الأرض .

أنوبارباس : احترسا لئلا تسقطا في البحر .

(يخرج الجميع ما عدا أنوبارباس وميناس)

يا ميناس لن أذهب إلى البر .

ميناس : لا هيا بنا إلى قمرتي .

ماذا ؛ أين الطبول والأبواق والمزمار ؟

فليسمع إلّه البحر أننا ودعنا هؤلاء العظماء

بنغمات مرتفعة ، اعزفوا اعزفوا .

(صوت أبواق وطبول)

أنوبارباس : هو ! هاك قبعتي (يرميها في الهواء) .

ميناس : هو ! هيا أيها الضابط الشريف .

(يخرجون)

الفصل الثالث

المشهد الأول

سهل في سوريا

(يدخل ڤنتيدياس وعليه أمارات النصر ، ومعه سيلاس وغيره من الضباط الرومانيين وجنود وأمامه جثة بكورس محمولة)

ڤنتيدياس : أيها الشجاع البارثي لقد أصبت ، ومن حقي أن أثأر لموت مركوس كراسوس . احملوا ابن الملك أمام جيشنا ، ولقد تقاضينا من بكورس ووالده أدروس ديناً من أجل مركوس كراسوس .

سيلاس : أيها الشريف ڤنتيدياس اقتف أثر هؤلاء البارثيين الفارين وسيفك مخضب بالدماء ، وألحق بهم في ميديا ومسبتوميا[1] وكل المخابىء التي يلجأ إليها الفارون والمنهزمون حتى يعلو شأنك في نظر قائدك أنطونيو ، ويأمر بحملك

---

(١) سهل ما بين النهرين (دجلة والفرات).

على مركبة حربية ، ويضع الأكاليل على رأسك .

ڤنتيدياس : يا سيلاس ! يا سيلاس . لقد قمت بما فيه الكفاية ، واعلم علم اليقين أن المركز المتواضع قد يكون مدعاة للمغالاة في تقدير عمل المرء واحفظ عني يا سيلاس : أن من الخير ألا يعمل المرء عملاً ويكتسب شهرة ورئيسه غائباً فلقد اكتسب قيصر وأنطونيو الشهرة على حساب أعمال ضباطهما ، وإن سوسيس أحد الضباط كان يشغل ذات المركز الذي أشغله الآن بسوريا خسر مكانته عنده بسبب أعماله التي أكسبته شهرة عظيمة ، ومن يستبسل في الحرب أكثر من قائده يصبح قائداً لقائده ، والطموح هو فضيلة الجندي وإن في استطاعتي أن أبذل لصالح أنطونيو أكثر مما بذلت ولكن ذلك يسوءه ، وفي هذا القضاء على أعمالي ونكرانها .

سيلاس : إن بك من النباهة التي بدونها لا يكون فرق بين الجندي وسيفه . هل ستخبر أنطونيو ؟ .

ڤنتيدياس : سأكتب له بكل تواضع وأخبره بأننا باسمه

الذي يبعث الرعب في القلوب ، ذلك
الاسم الذي يعمل السحر في الحرب قد
انتصرنا، وأؤكد له أن راياته التي كنا
نحملها وجنوده ذوي الرتب العالية الذين
كنا نقودهم ـ كل أولئك كانوا السبب في
هزيمة أهل بارثيا، واستئصال شأفتهم في
ميدان القتال .

سيلاس : أين هو الآن ؟ .

فنتيدياس : لقد وصل إلى أثينا ، ويجب أن نقدم
أنفسنا له هناك بأقصى سرعة ممكنة وذلك
لما نحمله من الأنباء الهامة ، هي بنا إلى
هناك .

(يخرجون)

المشهد الثاني

روما ـ حجرة في بلاط قيصر

(يدخل أغريبًا من باب وآنوبارباس من الباب الآخر)

أغريبًا : هل رحل الأصهار؟ .

أنوبارباس : لقد رحلوا مع بومبيوس ، أما الثلاثة الآخرون فإنهم يختمون بأختامهم على عقد الاتفاق ، ولقد كانت أوكتافيا تبكي لفراق روما ، وقيصر كئيب؟ أما ليوبدوس فمنذ وليمة بومبيوس على حد قول ميناس أصيب بفقر الدم .

أغريبًا : إن ليوبدوس رجل شريف .

أنوبارباس : إنه عظيم في رقة عواطفه ، وما أعظم حبه لقيصر .

أغريبًا : ولكن ما أعظم احترامه وإخلاصه لمارك أنطونيو !

أنوبارباس : قيصر؟ إنه كما يقول ليوبدوس إله الرجال .

أغريبًا : وما أنطونيو إلا إله الآلهة .

أنوبارباس : هل تتكلمون عن قيصر؟ لعمري إنه

الرجل الذي لا يساوى ما أعجبك يا أنطونيو! إنك كالعنقاء التي تقول العرب باستحالة وجودها .

أنوبارباس : إذا أردت أن تمدح قيصر فقل « قيصر » وكفى .

أغريبًا : لقد بذل ليوبدوس وسع جهده في مدحهما مدحاً فائقاً .

أنوبارباس : ولكنه يحب قيصر أكثر ، على أنه يحب أنطونيو فوق ما يتصوّر العقل ، ولا تستطيع الألسنة أن تصور هذا الحب ولا الصور أن تمثله ، ولا الكتّاب أن يشرحوه ولا المنشدون أن يتغنوا به ، ولا الشعراء أن يطرزوا القصائد فيه . أما حبه لقيصر فهو الخضوع ثم الخضوع والإعجاب .

أغريبًا : إنه يحب الاثنين كليهما .

أنوبارباس : إنهما جناحاه اللذان بهما يطير بوصفه خنفساء بليدة . (تنغيم من الأبواق في الداخل) · حسن جدّاً ، هذا إيـذان بالركوب والسفر ، ووداعاً يا أغرايبـا الشريف .

أغريبًا : أتمنى لك حظاً سعيداً أيها الجندي الباسل ، وداعاً .

(يدخل قيصر وأنطونيو وليوبدوس وأوكتافيا)

أنطونيو : لا تعذب نفسك بمرافقتي أكثر .

قيصر : لك مكانة خاصة عندي فاظهر احترامك لي بحبها، أما أنت يا أختي فيجب أن تكوني الزوجة الصالحة التي أردتها ، وانك كفيلة بأن تفي بالوعود التي قطعتها بأنك كذلك ، ويا أنطونيو يا أنبل الناس لا تجعل هذه الفضيلة التي كانت دعامة حبنا وقوته.معول هدمه ، فلربما كان من الخير أن نتحاب بغير هذه الوسيلة إذا لم نقدّر كلانا هذا الرباط حق قدره .

أنطونيو : لا تشك في حبي لها .

قيصر : لقد قلت ما فيه الكفاية .

أنطونيو : مهما كنت قلقاً من هذه الناحية ، فلا مبرر لظنونك به وأرجو أن تحفظك العناية الإلّهية وتجعل قلوب الرومانيين مخلصة في خدمة أغراضك وسنفترق هنا .

قيصر : (إلى أوكتافيا) وداعاً يا أعز الأخوات وداعاً ، وأرجو أن تيسر لك الأحوال الجوية سفرك ، وأن تكون هذه السفرة موفقة مريحة ، إلى اللقاء .

أوكتافيا : يا أخي النبيل .

قيصر : إن الدموع تكاد تدفق من عينيها كالمطر في شهر نيسان ، إنه حب الربيع وهذه

الأمطار تنزل عليه كي يترعرع ويجود .
كوني مرحة .

أوكتافيا : كن خيراً . . . بيت زوجي و . .

قيصر : ما هذا يا أوكتافيا ؟

أوكتافيا : سأهمس لك في أذنك (تكلم أخاها بصوت غير مسموع)

أنطونيو : لسانها لا يطاوعها ، على الإفضاء بشعور قلبها وقلبها مفعم ولا تستطيع التعبير عنه باللسان ، ومتأثرة بسبب ترك أخيها مثل زغب ريش البط يقف ساكناً عندما يكون المدّ عالياً ولا يميل إلى جهة ما .

أنوبارباس : (على انفراد مع أغريبًا) هل سيبكي قيصر ؟

أغريبًا : (على انفراد مع أنوبارباس) لقد بدت علامة الكآبة على وجهه .

أنوبارباس : (على انفراد مع أغريبًا) إن هذه العلامة لها أثرها السيىء في وجهه .

أغريبًا : (على انفراد مع أنوبارباس) يا أنوبارباس عندما وجد أنطونيو يوليوس قيصر ميتاً بكى حتى علا صوته وبكى أيضاً عندما وجد بروتس مقتولاً في فلباي .

أنوبارباس : (على انفراد مع أغريبًا) لقد اعتاد أن

يبكي كثيراً حتى من يقتله متعمداً يعود
فينتحب من أجله ، وصدقني ان ذلك أثر
فيّ حتى بكيت أنا أيضاً .

قيصر : لا يا عزيزتي أوكتاڤيا ، سأكتب إليك
وسأفكر بك ما دمت حياً .

أنطونيو : مهلاً سيدي مهلاً ، سنتبارى لنعرف من
الأقوى حباً وهأنذا أعانقك ثم أتركك
وأطلب إلى الآلهة أن ترعاك .

قيصر : وداعاً ، وداعاً

(يقبل أوكتاڤيا)

أنطونيو : وداعاً

(تنغيم الأبواق)

(يخرجون)

المشهد الثالث

الإسكندرية . قصر كليوباترا

(تدخل كليوباترا وشراميان وإرس وألكساس)

كليوباترا : أين ذاك الشاب ؟

ألكساس : إنه يخاف الحضور .

كليوباترا : كلام هراء . كلام هراء

(يدخل الرسول)

تعال هنا يا فتى .

ألكساس : يا صاحبة الجلالة . إن هرودتس ملك اليهود مع فظاظته وغلظة قلبه لا يستطيع النظر إلى وجهك إلا إذا كنت جمة السرور .

كليوباترا : عليّ أن أستولي على رأس هذا الظالم ، ولكن من يقوم بهذا ما دام أنطونيو قد رحل .

(إلى الرسول)

هيًا اقترب .

الرسول : يا صاحبة الجلالة العظيمة . . .

كليوباترا : هل نظرت أوكتاڤيا ؟

الرسول : نعم أيتها الملكة المهيبة .

كليوباترا : أين ؟

الرسول : في روما يا سيدتي . ولقد تأملت وجهها ورأيتها سائرة بين أخيها ومارك أنطونيو .

كليوباترا : هل يتساوى طول قامتها وقامتي ؟

الرسول : لا يا سيدتي .

كليوباترا : هل سمعتها تتكلم ؟ أجهورية الصوت هي أم منخفضته ؟

الرسول : سمعتها يا سيدتي تتكلم بصوت خافت .

كليوباترا : ليس هذا محموداً ، وإنه لن يستطيع حبها طويلاً .

شرامیان : يحبها ؟ بحق إيزيس إن هذا مستحيل .

كليوباترا : هذا هو رأيي يا شراميان : غير طلقة اللسان وقصيرة القامة هل تتبختر في مشيتها ؟ أخبرني إن استطعت شيئاً عن هذا .

الرسول : إنها تسير وئيداً . وسيان مشيتها ووقوفها ويخيل إليَّ أنها صنم بدون روح وتمثال بدون حياة .

كليوباترا : هل أنت واثق من هذا ؟

الرسول : نعم ، أللهم إلا إذا كنت فقدت قوة الملاحظة .

شراميان : لن تجدي في مصر ثلاثة عندهم قوته في الملاحظة .

كليوباترا : إنه نبيه كما رأيت . وليس فيها شيء حسن . والفتى له قوة حكم جيدة .

شراميان : شيء جميل .

كليوباترا : كم عمرها فيما تظن ؟

الرسول : إنها كانت أرملة يا سيدتي .

كليوباترا : أرملة يا شراميان ، هذا شيء حسن .

الرسول : أظن أنها بلغت الثلاثين .

كليوباترا : هل تذكر وجهها : أطويل هو أم مستدير ؟

الرسول : مستدير يكاد يصل درجة التشويه .

كليوباترا : من كانت على هذا الشكل توحي بالحماقة . ما لون شعرها ؟

الرسول : أسمر يا سيدتي وجبهتها ضيقة جداً .

كليوباترا : هاك ذَهباً لك . ويجب أن تغض الطرف عن سوء معاملتي السابقة لك . لن أتخلى عنك وستعود ومعك كتب مني إلى أنطونيو ؛ إذ انك تصلح لذلك ، فاذهب واستعد للسفر وخطاباتنا جاهزة .

(يخرج الرسول)

شراميان : إنه رجل حسن المنظر .

كليوباترا : إنه لكذلك وإني نادمة كثيراً على سوء معاملتي له . وأظن أن هذه المخلوقة

حسب وصفه ليست على قدر من الجمال .

شراميان : لا يا سيدتي .

كليوباترا : لقد رأى الرجل بعض أهل العظمة ويستطيع الحكم .

شراميان : هل ذلك حق ؟ نعم أظن ذلك وخاصة أنه منذ مدة طويلة .

كليوباترا : لدي شيء آخر أريد أن أسأله عنه يا شراميان ولكنه ليس مهماً أحضريه لي في مكتبي ؟ وإني لأرجو أن تستقيم الأمور .

شراميان : لا شك في ذلك يا سيدتي .

[تخرجان]

المشهد الرابع

أثينا ـ حجرة في منزل أنطونيو

(يدخل أنطونيو وأوكتافيا)

أنطونيو : لا، لا، يا أوكتافيا ليس هذا فقط يمكن التغاضي عنه، بل هناك أكثر من ذلك: فلقد أعلن الحرب على بومبيوس مخالفاً بذلك الاتفاق الذي عقدناه فيما بيننا. وكتب وصية وقرأها على الشعب ليستميله إلى جانبه. وتكلم عني بازدراء في حين كان عليه مدحي وقد فعل ذلك بطريقة مزرية، كأن عدلي لا يوافقه، وعندما تتسنى له فرصة لمدحي يرفضها، أو ينتهزها بفتور ،ولم يكن عمله هذا إلا رياء فلم يكن صادراً من قلبه .

أوكتافيا : يا سيدي الطيب لا تصدق كل هذا، وإذا صدقته فلا تجعله يثيرك، وليست هناك سيدة أكثر تعساً مني إذا نشب الخلاف بينكما، إني سيدة تصلي من أجل نجاحكما وستسخر الآلهة مني إذا دعوت

لنجاح سيدي وزوجي، ثم أنكرت دعائي
هذا وطلبت بنفس الصوت المرتفع نجاح
أخي، لأن هذا معناه أني أدعو ثم ألغيه
ومن الصعب التوفيق بينهما .

أنطونيو : فليرشدك حبك إلى من يستطيع المحافظة
عليه، أي إلى من هو شريف. فكري في
شرفي قبل كل شيء ، واجعلي حبك
منقاداً لهذا الاعتبار، إن فقدت شرفي
فقدت نفسي، وخير لي ألا أكون لك من
أن أكون لك خالياً من كل ما هو جدير بي ،
ولكن سألبي طلبك، فاذهبي وتوسطي
بيننا، وفي هذه الآونة سأعد العدة للحرب
التي ستقضي على أخيك اسرعي ما
استطعت وهأنذا قد أجبت رغبتك .

أوكتاڤيا : أشكرك يا سيدي، وليمدني الإله
العظيم بقوة تجعلني قادرة على عقد
الصلح، فإن الحرب بينكما تكون حرباً
هوجاء تتصدع لها أركان العالم، ولا
يمكن تخيل مقدار الدم الذي سيهدر
في هذه الحرب الطاحنة .

أنطونيو : عندما يظهر لك من منا البادىء في الخطأ
وجهي إليه مقتك؛ فإنه لا بد أن واحداً منا

كان أكثر خطأً من الآخر، ولذلك لا تستطيعين حب الاثنين بدرجة واحدة. نظمي رحلتك، واختاري أتباعك، واطلبي ما تشائين من المال .

(يخرجان)

المشهد الخامس

أثينا ـ حجرة أخرى في منزل أنطونيو

(يدخل آنوبارباس وأوروس متقابلين)

أنوبارباس : كيف الحال يا صديقي أوروس؟

أوروس : لقد وصلت أخبار غريبة يا سيدي .

أنوبارباس : ما هي؟

أوروس : لقد أعلن قيصر وليوبدوس الحرب على بومبيوس

أنوبارباس : هذه أخبار قديمة وما النتيجة؟

أوروس : إن قيصر بعد أن استخدم ليوبدوس في الحرب على بومبيوس أبى عليه مشاركته الانتصار ، ورفض أن يكون له نصيب في العمل الباهر، وليت الحال اقتصر على ذلك؛ فإنه اتهمه بكتابات خطابات إلى بومبيوس وقبض عليه من جراء هذه التهمة التي حكم فيها بنفسه، وهكذا قبض على ثالث الثلاثة ولن يفرج عنه إلا بالموت .

أنوباراس : ومعنى هذا بلغة صريحة أن قيصر وأنطونيو اقتسما العالم، وليس هناك ما يحول دون

مقاتلتهما بعضهما لبعض حتى يهلك
أحدهما . وأين أنطونيو؟

أوروس : إنه يسير ثائراً في الحديقة وغضبه يجعله
يركل كل شيء في طريقه مهما كان ضئيلاً
ويصيح : ما أحمقك يا ليوبدوس ويتوعد
بأن يقتل ضابطه الذي قتل بومبيوس .

إن أسطولنا العظيم مستعد، ووجهته
إيطاليا لمقابلة قيصر وقد جئت لأخبرك يا
دُمِتَس بأن أنطونيو يريد مقابلتك حالاً .
وكان الواجب أن أقول ذلك أولاً ، وأتجاوز
عن الأخبار إلى ما بعد .

انوبارباس : ليس لديه أي شيء هام ينبئني به، ولكن
على أي حال قدني إليه .

أوروس : هيا يا سيدي .

(يخرجان)

المشهد السادس

روما ـ منزل قيصر

(يدخل قيصر وأغريبًا ومسنس)

قيصر : إظهاراً لاحتقارنا قد فعل كل هذا وأكثر منه بالإسكندرية، وسأقص عليكم نموذجاً من سلوكه: ففي ميدان السوق العام نصبت له منصة مغطاة بالفضة. وجلس فوقها مع كليوباترا على عرش من الذهب، وهناك توجا على مرأى من عامة الشعب، وجلس تحت أقدامها قيصرون الذي يدعون أنه ابن والدي، وكذلك جلس كل الذراري غير الشرعيين الذي نبتوا من اتصالاتهما. وقد منحها حكم إقليم مصر، وجعلها ملكة مطلقة التصرف في شؤون سوريا الدنيا، وقبرص وليديا.

مسنس : وهل كان هذا على مرأى من الشعب؟

قيصر : نعم، وفي ميدان التدريب الرياضي، وهناك أعلن أولاده ملوك الملوك: فأعطى الإسكندر ميديا العظيمة وبرثيا وأرمينيا،

ومنح بطليموس سوريا وكليكيا وفينيقيا.
وقد ظهرت الملكة في هذا اليوم مرتدية
زي الإلّهة إيزيس، وكثيراً ما تسربلت
هكذا كما يزعمون عند تشرف الناس
بمقابلتها لتقديم الظلامات والتقارير
والرسائل السياسية.. إلخ.

مسنس : فلتخبر روما بهذا.

أغريبًا : وسيغير أهل روما رأيهم الحسن فيه،
لأنهم سيضيقون ذرعاً بكبريائه وغطرسته.

قيصر : يعرفه أهل روما جيداً، وأمامهم الآن
التهم الموجهة منه.

أغريبًا : من يتهم؟

قيصر : قيصر: وذلك أننا في صقلية اغتصبنا حق
بومبيوس ولم نمنحه جزءاً من الجزيرة. ثم
يقول إنه أعارني بعض السفن ولم أردها،
وأخيراً يشكو مر الشكوى من عزل
ليوبدوس أحد أفراد الحكومة الثلاثية،
وبذلك استولينا على كل إيراده.

أغريبًا : سيدي لا بد من دفع هذه التهم.

قيصر : لقد فعلت ذلك، وسافر الرسول: ولقد
أخبرته بأن ليوبدوس وصل إلى درجة
عظيمة من القسوة حتى أساء استعمال

سلطة وظيفته واستحق ما حصل له، وقد منحت أنطونيو جزءاً من الأملاك التي غزوتها، لذلك طلبت منه جزءاً من فتوحه في أرمينيا والأقطار الأخرى .

مسنس : لن يقبل ذلك مطلقاً .

قيصر : إذن يجب أن نخضع له للأمر نفسه .

(تدخل أوكتافيا وحاشيتها)

أوكتافيا : مرحباً بقيصر وسيدي . مرحباً أعز الأعزاء .

قيصر : آسف لمخاطبتك كمخلوق منبوذ احتقر وطرح جانباً لا قيمة له .

أوكتافيا : لا تخاطبني هكذا وليس لديك من الأسباب ما يحملك عليه .

قيصر : لماذا تسللت إلينا خلسة هكذا ؟ إنك لم تحضري كأخت قيصر . وكان من الواجب أن يكون لزوجة أنطونيو جيش من الخدم والحشم ، وصهيل الخيل ينبيء بقدومها قبل وصولها بمدة طويلة ، والأشجار على طول الطريق كان يجب أن تزدحم بمستقبليها من الناس ، وأولئك الذين يرغبون في مجيئها يطول بهم الانتظار ، والثرى الذي تثيره جنود جيشك الكبير يصعد إلى الجو وينتشر في طبقاته العليا

ويغطي وجه الأرض ، ولكنك أتيت كفتاة
قروية قادمة من قريتها إلى روما وبذا
حرمنا إظهار شعورنا بحبك لأن الحب إذا
فقد امتنعت دلائل الشعور به ، وكان
الواجب أن نقابلك في البر والبحر ونرحب
بك في كل مرحلة من هذه الرحلة .

أوكتافيا : سيدي النبيل لم آت هكذا مضطرة ،
ولكن جئت بمحض إرادتي فإن سيدي
مارك أنطونيو عندما علم باستعدادك
للحرب أنبأني بهذا الخبر المحزن ولذلك
رجوته في العودة إليك .

قيصر : وسرعان ما أجابك إلى طلبك لأنك كنت
عقبة في سبيل ملاذه البهيمية .

أوكتافيا : لا تقل ذلك يا سيدي .

قيصر : إن لي عيوناً تبعث لي بالتقارير عن
أحواله . أين هو الآن ؟

أوكتافيا : في أثينا يا سيدي .

قيصر : لا يا أختي العزيزة لقد أشارت إليه
كليوباترا فذهب إليها طوعاً وهما الآن
يحرضان ملوك الأرض على محاربتنا .
ولقد لبى طلبه بكش ملك لوبيا وارثيلوس
ملك كبدوشيا . وفلد لفس ملك بافلجونيا
وادالس ملك تراكيا وملكس ملك

العرب ، وملك بنت ، وهرودتس ملك
اليهود ومثريادوس ملك كوماجين وبلمن
وأمنتس ومَلكا ميديا ولكونيا وكثير غيرهم
من أصحاب التيجان .

أوكتاڤيا : ما أتعسني ، لأن قلبي مقسم بين عزيزين
يناوىء كل منهما الآخر .

قيصر : مرحباً بك هنا ، لقد منعتني خطاباتك من
أن أثور غاضباً وأهجم عليه ، مع أني
أعرض نفسي للخطر بإهمالي . سري
عنك ولا تجزعي لهذه الحوادث التي قد
تنغص حياتك ، فإني سأضع خطة
حاسمة ، ودعي الأمور تسير ، ولا
تغضبي . مرحباً بك في روما ، وليس
شيء أحب إليَّ من أن أراك هنا ، فلقد
أسيئت معاملتك إساءة لا يمكن تصورها ،
وإني أبتهل إلى الآلهة في السماء أن
تنصفك وأن تتولانا وكل من نحب
برعايتها. مرحباً يا أحسن الناس مواساة
لي وإشفاقاً عليّ .

أغريبّا : مرحباً يا سيدي .

مسنس : مرحباً يا سيدتي العزيزة ، إن كل قلب في
روما يحبك ويشفق عليك إلا أنطونيو
هاتك الحرمات الذي أفحش في ملاذه ،

وتخلص منك ، وسلم قيادة أمـوره وسلطانه لامرأة غير شريفة أثارت علينا جماعات عظيمة .

أوكتافيا : هل الأمر كذلك يا سيدي ؟

قيصر : هذا أمر مؤكد .مرحباً يا أختي أرجو أن يكون الصبر دائماً لك لزاماً يا أعز الأخوات .

(يخرجون)

المشهد السابع

قريباً من أكيتوم ـ معسكر أنطونيو

(تدخل كليوباترا وآنوبارباس)

كليوباترا : لا بد أن أقتص منك . فلا تشك في ذلك .

أنوبارباس : ولكن لم ذلك؟ لم ذلك؟ لم ذلك؟

كليوباترا : لقد عارضت مشاركتي في هذه الحرب وقلت إنه أمر غير لائق بي .

أنوبارباس : أليس الأمر كذلك؟ أليس الأمر كذلك؟

كليوباترا : إذا كانت هذه الحروب أعلنت بسببي فلماذا لا أحضرها بنفسي ؟

أنوبارباس : (على انفراد) أستطيع الإجابة لو أردت .

كليوباترا : ما الذي تقوله ؟

أنوبارباس : إن وجودك بالطبع سيستولي على مشاعر أنطونيو ، مع أنه سيكون لديه ما يشغل شعوره وأفكاره ووقته ، ولا يمكن أن ينساها بسبب وجودك ، إنهم يعيبون علىه استخفافه بالأمور ويقولون في روما إن

أخاك فوتنس ووصيفاتك يديرون شؤون هذه الحرب .

كليوباترا : فلتهتك روما ولتقطع الألسنة التي تنال منا ! إني أتحمل نصيباً من تكاليف هذه الحرب ، ولما كنت رئيسة لقطري فسأظهر في الميدان كأني رجل . وهذا واجب كما لو كنت ملكاً بدلاً من ملكة ، فلا تعارض لأني صممت على المشاركة .

أنوبارباس : لقد أديت الواجب . ها هو ذا الإمبراطور قادم .

(يدخل أنطونيو وكندياس)

أنطونيو : أليس من الغريب يا كندياس أنه اجتاز البحر اليوناني من تارَنتم وبَرَنْدسيم بهذه السرعة واستولى على تورين ؟ هل سمعت بهذا يا حبيبتي ؟

كليوباترا : إن السرعة لا يمدحها قط إلا الخمل!

أنطونيو : هذا تأنيب لطيف وقد يوجهه أفضل الناس إلى المتراخين الكسالى . يا كندياس سنحاربه في البحر . .

كليوباترا : في البحر !

كندياس : ولماذا يريد سيدي أن يفعل ذلك ؟

أنطونيو : لأنه تحدانا في ذلك .

أنوبارباس : هل طلب إليه سيدي أن يحاربه في معركة واحدة .

كندياس : نعم ، وأن يكون القتال في فرساليا حيث حارب قيصر بومبيوس ، ولكنه رفض ! لأنه ليس من صالحه ، وأنت عليك أن تفعل ذلك .

أنوبارباس : إن سفنك ليس بها بحارة مدربون تدريباً جيداً لأن رجالها من سائقي البغال ومن الفلاحين ، وقد جمع هؤلاء بسرعة بغض النظر عن قدرتهم لهذه الخدمة . أما أسطول قيصر فبحارته كثيراً ما حاربوا بومبيوس ، ولذلك فهم مدربون على القتال في البحر ، وسفنهم خفيفة سريعة الحركة . أما سفنكم فثقيلة بطيئة الحركة . ولن ينال منك إذا رفضت منازلته في البحر ؛ لأنك على استعداد له في البر .

أنطونيو : في البحر في البحر .

أنوبارباس : يا سيدي الفاضل ، هناك تهدد قوة بأسك التي لا مثيل لها في البر ، وتضعف جيشك بتشتيته ، هذا الجيش المكون أغلبه من المحاربين المشاة الباسلين وتترك الفرصة المؤاتية لك بإظهار مواهبك الحربية التي اشتهرت بها ، وتترك النجاح

المؤكد ، وتعتمد على المصادفة وحسن الحظ لنيل النصر .

أنطونيو : سأحارب في البحر .

كليوباترا : عندي ستون سفينة : ليس عند قيصر أحسن منها .

أنطونيو : سنحرق كل السفن الزائدة عن حاجتنا ، وسنقصد بكل السفن المجهزة تجهيزاً تامّاً إلى رأس أكيتوم ونغلب قيصر وإذا غلبنا عدنا إلى البر وقضينا عليه .

(يدخل رسول)

هات ما عندك .

الرسول : الأخبار صحيحة يا سيدي فلقد رأى العيون قيصر قادماً واستولى على تورين .

أنطونيو : هل هو هناك بنفسه ؟ هذا مستحيل ، وغريب أن يقود جنوده بنفسه . يا كندياس تَوَلّ قيادة الفيالق التسعة عشر في البر وكذلك الفرسان الاثني عشر ألفاً ، أما أنا فذاهب إلى البحر ، هيا يا عروس البحر .

(يدخل جندي)

ما وراءك أيها الجندي الباسل ؟ .

الجندي : أيها الامبراطور النبيل لا تحارب في البحر ولا تعتمد على هذه الألواح البالية ! هل فقدت الثقة في رجال مثلنا تعرف

شجاعتهم وبلاءهم الحسن؟ فاترك المصريين والفينيقيين يذهبون إلى البحر . أما نحن فتعودنا النصر في البر متلاحمين .

أنطونيو : حسن ، حسن ، هيا بنا .

(يخرج أنطونيو وكليوباترا وأنوبارباس)

الجندي : وحق هرقل إني على حق فيما أظن .

كنديياس : أيها الجندي إنك لكذلك ، ولكن هذه الحرب ليست من تدبيره . بل هوى امرأة ترغب أن يحارب في البحر ، أما نحن فخدم وعبيد لهذه المرأة .

الجندي : هل ستبقى القوات البرية المشاة منها والفرسان كتلة واحدة متراصة ؟

كنديياس : سيشترك في الموقعة البحرية ماركوس أوكتافيوس ومرسيوس جوسيوس وبيلكولا وسليوس ، ولكن قواتنا البرية تبقى موحدة . إن سرعة حضور قيصر فوق ما يتصوره العقل .

الجندي : عندما كان في روما أرسل قواته أقساماً منفصلة ، حتى إن جميع العيون التي بثثناها عليه خدعت خداعاً تامّاً .

كنديياس : هل عرفت من قائده ؟

الجندي : هم يقولون : إنه شخص يدعى توراس .

كندياس : إني أعرفه حق المعرفة .

(يدخل رسول)

الرسول : إن الإمبراطور يطلب كندياس .

كندياس : إن الوقت مفعم بالأخبار الغريبة ، وكل دقيقة تأتينا بأخبار جديدة .

(يخرجون)

المشهد الثامن

سهل بالقرب من أكيتوم

(يدخل قيصر وتوراس ومعه فرقته سائرة)

قيصر : توراس ؟

توراس : سيدي .

قيصر : لا تهاجم في البر ، بل احتفظ بكل قواتك مجتمعة حتى تنتهي من الموقعة البحرية ، ولا تتجاوز التعليمات المدونة في هذه الأوراق ، وإن حظنا متوقف على هذه المخاطرة .

(يخرجون)

المشهد التاسع

جزء آخر من السهل

(يدخل أنطونيو وآنوبارباس)

أنطونيو : رتب أسطولنا في هذه الجبهة المشرف عليها الجبل وجهاً لوجه أمام قوة قيصر ، ومن هذا المحل تراقب عدد السفن التي تهجم عليها .

(يخرجان)

المشهد العاشر

جزء آخر من السهل

(يسير كندياس بجيشه البري من جانب المسرح وتوراس قائد قيصر من الجانب الآخر وبعدئذ يسمع صوت المعركة البحرية)

(يدخل أنوبارباس)

أنوبارباس : لقد خسرنا كل شيء ، ولا يمكنني أن أقاوم بعد ، فإن أنطونيو وأمير البحر المصري فرّا بسفنهما الستين التي أطلقت شراعها للريح : ورؤيتها أذهلتني وأعمت بصري .

(يدخل سكاروس)

سكاروس : واغوثاه أيتها الآلهة والآلهات جميعاً !

أنوبارباس : ماذا دهاك ؟

سكاروس : لقد فقدنا جزءاً كبيراً من العلم بسبب جهلنا وأضعناه بانغماسنا في الترف والشهوات .

أنوبارباس : كيف تسير المعركة ؟

سكاروس : لقد أصيب فريقنا إصابة يعقبها الموت لا محالة ، فإن هذه العاهرة المصرية ،

قاتلها الإله ، عندما كان الجيشان متعادلين
في منتصف المعركة في القتال على ما
يظهر أو كاد النصر يحالفنا . هذه المرأة
المصرية فرت على جناح السرعة
بأسطولها .

أنوبارباس : لقد رأيت ذلك ورمدت عيني من
منظرها ، ولم أستطع تحمله أكثر من
ذلك ، وعندما دارت سفنها مع الريح
متأهبة للفرار أثر سحرها في أنطونيو
الشريف وأسرع هو أيضاً في الهرب في
إثرها ، وكأنه بطة بحرية خرفة ، وترك
الموقعة على أشدها ، ولم أر في حياتي
من قبل منظراً مخجلاً كهذا ، منظراً
ضاعت فيه الخبرة والرجولة والشرف

أنوبارباس : واخجلاه ! واخجلاه !

كندياس : لقد ضاع حظنا في البحر وساء سوءاً
يؤسف له ، ولو أن قائدنا عرف كيف
يوظف شجاعته لكان النصر حليفنا ولكنه
ضرب لنا مثلاً سيئاً في الهرب فحذونا
حذوه وهربنا مرذولين .

أنوبارباس : هل هذا رأيك ؟ وإذا كان الأمر كذلك،
فكأني بك تفكر في التسليم لقيصر !

كنذياس : لقد فروا نحو بلبونيسيس .

سكاروس : من السهل ، سأنتظر وأرى .

كنذياس : سأسلم جنودي فرساناً ومشاة إلى قيصر ، ولقد تلقيت درساً في التسليم من ستة ملوك سبقوني .

أنوبارباس : أما أنا فسأتبع أنطونيو وحظه السيء مع أنني لست موافقاً على هذا العمل .

(يخرجون)

المشهد الحادي عشر

الإسكندرية ، قصر كليوباترا

(يدخل أنطونيو وأتباعه)

أنطونيو : اصمت ! إن الأرض تأمرني بألا أطأها بعد لأنها تخجل من حملي . أيها الأصدقاء أقبلوا . فلقد أظلمت عليّ الدنيا وضللت طريقي فيها إلى الأبد ، ولدي سفينة مشحونة بالذهب فخذوها واقتسموها ثم فروا وتصالحوا مع قيصر .

الجميع : الفرار ! لا نفعل هذا .

أنطونيو : لقد فررت أنا نفسي ، وأوعزت إلى الجبناء أن يهربوا ويسلموا سيقانهم للريح ، مولّين ظهورهم للعدو ، فهيا يا أصدقائي ارحلوا ! فلقد صممت على خطة ، ولا أحتاج إليكم لتنفيذها ، فارحلوا وخذوا أموالي من الميناء . واحسرتاه ! لقد اتبعتها وكنت جباناً ، ولذا أخاف أن أقابلها ؛ حتى شعر رأسي يثور عليّ والأبيض منه يؤنب الأسود لحمقي ، وهذا يؤنب ذاك على الخوف والطيش . فارحلوا

أيها الأصدقاء ؛ وسأوصي بكم بالرسائل بعض أصدقائي ليمهدوا لكم طريق الصلح مع قيصر وأخفوا الأسى والحزن ، ولا ترفضوا ما طلبته منكم. اتعظوا بما أصابني ، واهجروني كما هجرت أنا نفسي ، واذهبوا حالاً إلى البحر ، وسأسلمكم السفينة والمال . أرجوكم أن تتركوني قليلاً ، وإني لأرجوكم الآن وليس لي لديكم إلا الرجاء! لأني خسرت القيادة ، ولذلك أرجوكم وستتلاقى حالاً .

(يجلس)

(تدخل كليوباترا وشرامیان وإرس ويتبعهم أوروس)

شرامیان : اذهبي يا سيدتي إليه وواسيه .

إرس : افعلي يا أعز الملكات .

شرامیان : افعلي! هل تفكرين في شيء آخر؟

كليوباترا : ذروني أجلس . وارحمتاه يا ملكة السموات!

أنطونيو : لا . لا . لا . لا .

إرس : ألا ترى أن كليوباترا قد جلست بجوارك؟

أنطونيو : تباً! تباً .

شرامیان : سيدتي!

إرس : سيدتي أيتها الإمبراطورة العظيمة!

أوروس : سيدي سيدي!

أنطونيو : نعم يا سيدي إنه في موقعة فلباي لم يستل سيفه ، ولكنه تمنطق به كحلية يلبسها المرء في حفلات الرقص على حين قضيتُ على كسيس ذي الوجه الأصفر المنجعد ، وأنا الذي أجهزت على بروتس المجنون ؛ أما هو فقد اعتمد على رجال تحت إمرته ، ولم يشترك في الموقعة التي تحطم فيها الأسطول ولكن ما الفائدة الآن ؟

كليوباترا : آه ساعدني .

أوروس : الملكة يا سيدي الملكة .

إرس : اذهبي إليه وكلميه فلقد ضاع صوابه من العار .

كليوباترا : كي أذهب إليه عليّ أن أستند إليكما لأني لا أستطيع الوقوف وحدي .

أوروس : سيدي يا أشرف الرجال قف . الملكة قادمة لقد انحنى رأسها وسيقضى عليها إذا لم تنجها بمواساتك لها .

أنطونيو : لقد أسأت إلى السمعة الحسنة التي بلغتها وإنه لتقهقر شنيع !

أوروس : سيدي : الملكة !

أنطونيو : واهاً لي ! وإلى أي طريق سقتني يا ملكة مصر ؟ انظري إني أخفي عاري بالابتعاد

عنك والتأمل تأملاً مراً في ضياع قوتي وشهرتي .

كليوباترا : سيدي ، سيدي ، اصفح عن هربي من الموقعة هرب الجبان ؛ إذ لم أكن أفكر في أنك ستلحق بي .

أنطونيو : أنت تعرفين يا ملكة مصر حق المعرفة أن قلبي كان متعلقاً بك أينما كنت ، وأني سأسير وراءك حتماً ؛ ولزوجك سلطان على روحي ، وإشارة منك كافية لتجعلني أهمل كل الواجبات حتى المقدسة منها .

كليوباترا : أرجو أن تعذرني .

أنطونيو : والآن يجب أن أتقدم لهذا الشاب بالرجاء ، مستعملاً كل وسيلة وكل دهاء معه كما يفعل أولئك الذين وصلت حالتهم إلى الحضيض ، أنا الذي كنت أملك نصف العالم ، وأديره كما أشاء ، أرفع هذا وأخفض ذاك . إنك تعلمين مقدار سلطانك عليّ وأن حبك أضعف سلاحي طوعاً له .

كليوباترا : السماح، السماح .

أنطونيو : لا تذرفي الدمع فكل دمعة تساوي كل المكاسب والخسارة . هات قبلة ؟ وهذه تعوض خسارتي . لقد بعثنا مدرس أطفالنا

إليه فهل عاد؟ حبيبتي ، إني أشعر بانقباض شديد وحزن عميق . علينا بالخمر في داخل الحجرة هناك وبعض المأكولات . إن الحظ يعرف أننا نزيد في احتقارنا له عندما تزيد عبوسته .

(يخرجون)

المشهد الثاني عشر

معسكر قيصر

(يدخل قيصر، ودولابلا وثيراس وآخرون)

قيصر : فليأتِ ذلك الشخص القادم من أنطونيو. هل تعرفه؟

دولابلا : يا قيصر، إنه مربي أطفاله، وهذا برهان على أنه فقد كل جاهه لأن الرجل كان منذ شهور يخضع لنفوذه عدة ملوك يستخدمهم رسلاً له - لم يجد شخصاً أحسن من مدرس يبعث به سفيراً!

[يدخل يوفروناس سفير أنطونيو]

قيصر : تقدم وتكلم.

يوفروناس : لقد كنت منذ زمن قصير أقل أهمية من أن يستخدمني أنطونيو، وكان مثلي معه كنقطة من الندى على ورقة شجرة بالنسبة إلى المحيط العظيم الذي جاءت منه!

قيصر : وليكن الأمر كذلك، هات رسالتك.

يوفروناس : يحييك سيدي تحية رجل أصبح مصيره في يدك، ويطلب إليك أن تسمح له

بالإقامة في مصر ، وإذا رفضت طلبه هذا يرجو أن تسمح له بالإقامة في أثينا كأي شخصٍ عادي ؛ هذا وأما ما يختص بكليوباترا فإنها تعترف لك بالعظمة وتخضع لسلطانك ، وترجو أن يكون لورثتها تاج البطالسة الذي لهم بحق الوراثة، هذا التاج الذي فقدته ، ولا يمكن أن تسترده إلا برضاك ومعروفك .

قيصر : أما أنطونيو فإني أرفض كل ما يطلبه ، وأما الملكة فإني لا أرفض مقابلتها أو الإصغاء إلى مطالبها شرط أن تطرد صديقها الذي تسربل لباس العار ، أو تقتله ؛ فإذا فعلت ذلك قابلتها وأنصت لها بترحاب ، فاذهب وبلغها ذلك .

يوفروناس : فليرافقك الحظ .

قيصر : قودوه من بين الجنود [يخرج يوفروناس] [إلى ثيراس] لقد حان الوقت لتجربة فصاحتك . فاذهب سريعاً ، وأثر على كليوباترا لتهجر أنطونيو ، وعدها باسمنا بإنجاز ما تطلب ، بل زد على ذلك أن تعدها بأشياء أخرى تعرض لك ، فإن النساء عندما يصل بهن الحظ إلى القمة لا يكن قويات ، ولكن الحاجة قد تجعل

أقدس القديسين يحنث في إيمانه ويخون
عهده ، فاستعمل دهاءك يا ثيراس ،
وسيكون جزاؤك ما تطلبه من المكافأة التي
سأدفعها كأمر يحتمه القانون .

ثيراس : سأذهب يا قيصر .

قيصر : سوء الحظ له أثره في نفس أنطونيو تنطوي
عليه حاله البدنية والعقلية .

ثيراس : سأفعل يا قيصر .

(يخرجون)

المشهد الثالث عشر

الإسكندرية . قصر كليوباترا

(تدخل كليوباترا وأنوبارباس وشراميان وإرس)

كليوباترا : ما الذي نعمله يا آنوبارباس

أنوبارباس : نحزن ثم نموت .

كليوباترا : أنحن المخطئون أم أنطونيو ؟

أنوبارباس : أنطونيو لأنه جعل لهواه السلطان على عقله ؛ ولو أنك هربت من الموقعة حيث صراع القوى ، فلماذا لحق بك ، فهو بذلك جعل ولهه يؤثر في مهنته كقائد ، وذلك عندما كانت جيوش نصف العالم تحارب جيوش النصف الآخر ، وكان القتال بسببه ، ولعمري إن هربه وراءك وتركه أسطوله ـ وقد استولت عليه الدهشة من جراء فراره ـ كان عملاً مخجلاً ومزرياً كما أنه قضى على آماله .

كليوباترا : كف أرجوك ولا تضف شيئاً .

(يدخل أنطونيو ويوفروايناس السفير)

أنطونيو : هل هذا رده ؟

يوفروناس : نعم يا مولاي .

أنطونيو : ستعامل الملكة معاملة حسنة شرط أن تتخلى عني !!

يوفروناس : لقد قال ذلك .

أنطونيو : أخبرها بذلك وقل لها أن ترسل رأسي هذا المختلط شعره الأبيض بالأسود إلى الولد قيصر وفي مقابل ذلك ينعم عليها بما تريد من سيادة الأقاليم .

كليوباترا : ذلك الرأس يا مولاي ؟

أنطونيو : اذهب إليه ثانية . وقل له إن العالم ينتظر من شاب مثله ما لم يستطعه غيره ، ولقد تكون أمواله وسفنه وجيوشه ملكاً لطفل جبان له من الأنصار والأعوان ما يستطيعون إحراز النصر بنفس السرعة التي كنت أنتصر بها ، وأنا قائد لقيصر ، ولذلك أتحداه بأن يصرف النظر عن المباهاة بحظه وموازنته بحظي ، لأن الموازنة في صالحه ، أتحداه بأن يبارزني وجهاً لوجه ، سيفاً لسيف : سأكتب له بذلك فاتبعني .

(يخرج أنطونيو ويوفروناس)

يوفروناس : [على انفراد] هل يجوز أن يخلع قيصر المتغطرس القائد لجيوش عظيمة عن

نفسه ثوب العظمة وينزل عن كبريائه ليظهر شجاعته أمام الملأ في معركة مع فرد من الأفراد ؟ إن شدة الحكم على الأمور عند الناس مرتبطة تمام الارتباط بحظهم ، والطوارىء الظاهرة تضطر العقل لاتباعها إلى الهاوية وإني لأعجب له ، وهو القادر على سبر غور طاقة المرء كيف يتصور أن قيصر وهو الآن في قمة حظه ، يبارز رجلاً سقط إلى الحضيض . لقد قهرت يا قيصر أيضاً عقله وتدبيره .

(يدخل تابع)

التابع : رسول من قيصر .

كليوباترا : هل قضي على الآداب المرعية : انظرن يا نسائي إن الذين كانوا على استعداد لاستنشاق رائحة الوردة قبل أن تتفتح عنها أكمامها لا يترددون الآن في التأفف من شمها عندما يتم تفتحها وتفقد رائحتها دعه يا سيدي .

(يخرج التابع)

أنوبارباس : (على انفراد) إن شعوري بالشرف وميولي أخذت تضارب بعضها بعضاً . وإن استمرار الإنسان على ولائه لمن فقدوا شعورهم لَقَلَبَ هذا الولاء إلى

حمقٌ لا أكثر ولا أقل ، ومن يستطيع تحمل إظهار الولاء لسيد عبث به الدهر ليظهر فضله على من خان سيده ، ليستحق الذكر الحسن عندما تتداول القصة بين الناس .

(يدخل ثيراس)

كليوباترا : وما جواب قيصر لطلبي ؟

ثيراس : اسمعيه على انفراد .

كليوباترا : كل من حولي أصدقاء فقلها ولا تخش أحداً .

ثيراس : إذا كانوا أصدقاءك فقد يكونون أصدقاء أنطونيو أيضاً .

أنوبارباس : إنه في حاجة إلى عدد من الأصدقاء كعدد أصدقاء قيصر ليواسوه ، أو لا يحتاج إلى أي صديق إذ بلغت به الحال إلى درجة اليأس القاتل. وإذا سمح قيصر فإن صديقنا أنطونيو يسره أن يكون صديق قيصر . أما نحن فإنا أتباع من يتبعه أنطونيو وهو قيصر .

ثيراس : حسن جداً . اعلمي إذن أيتها السيدة ذات الشهرة المجيدة أن قيصر يرجوك ألا تفكري فيما آل إليه أمرك ، وأن تعتمدي على كرم أخلاقه المعهود .

كليوباترا : أكمل كلامك .

ثيراس : إنه يعلم أنك لم تحبي أنطونيو بهذا القدر إلا لأنك كنت تخافينه .

كليوباترا : عجباً !

ثيراس : إنه يشفق عليك من الجراح التي أصابت شرفك إذا كنت لظروف قاهرة اضطررت إليها بلا ذنب أو جريرة .

كليوباترا : إنه إلّه ويعرف الحق الذي ليس فوقه حق ؛ فإن شرفي لم أسلم فيه من تلقاء نفسي ؛ لكنه اغتصب مني اغتصاباً .

أنوبارباس : (على انفراد) يجب أن أسأل أنطونيو كي أتحقق من صحة ذلك . سيدي ! سيدي ! . إن فلكك أصابها العطب ، ونفذ إلى جوفها الماء ، ويجب أن نتركك لتغرق وحدك ؛ لأن أعز شخص لديك يهجرك !

ثيراس : هلا تتكرمين وتخبرينني بما تريدينه من قيصر؛ إذ يكاد يرجوك أن تختبري كرمه ، وإنه ليسره أن تتخذي من قوته سنداً تعتمدين عليه ، ولكن مما يبعث في نفسه نشوة السرور أن يسمع منك أنك ستهجرين أنطونيو ، وتضعين نفسك تحت

حماية قيصر ملك العالم بأجمعه .

كليوباترا : ما اسمك ؟

ثيراس : اسمي ثيراس .

كليوباترا : يا أنجب الرسل أرجو أن تقبل يد قيصر نيابة عني ، وأن تخبره أني مستعدة أن أضع تاجي تحت قدميه وأركع أمامه وأني أريد أن أسمع ممن تخضع له كل الناس ما يقرره بشأن مصير مصر .

ثيراس : إنها أشرف خطة لك ، وعندما يكون الحزم والحظ متضاربين يجاهد الأول ويناضل إلى أقصى الحدود ، ولا يمكن أن يشله سوء الحظ مهما أوتي من قوة . اسمحي لي أن أظهر خضوعي واحترامي لك بأن ألمس بشفتي يدك .

كليوباترا : إن والد قيصرك عندما كان يفكر في غزو الأقطار كان كثيراً ما يضع يده على هذه اليد الضعيفة ويمطرها وابلاً من القبلات .

(يدخل أنطونيو و آنوبارباس)

أنطونيو : عطف وأفضال وحق الإله الذي يثير الرعد والصواعق ! من أنت يا رجل ؟

ثيراس : رجل مكلف أوامر ممن حبته الطبيعة كل أوصاف الرجولة ، وأحق من يأمر فيطاع .

أنوبارباس : (على انفراد) ستجلد .

أنطونيو : (لتوابعه) هيا اقتربوا . أيها المخلوق الدنس . يا آلهة ويا شياطين : إن سلطتي ضاعت ، وقد كنت من قبل عندما أدعو «يا» تلبي دعوتي الملوك على عجل وينفرون كما ينفر الأولاد في اللعب ويجيبون إلى ما أريد . ألا تسمعون أني ما زلت أنطونيو .

(يدخل أتباع)

خذوا هذا الشرير الوقح واجلدوه بالسياط:

أنوبارباس : (على انفراد) لأن يداعب المرء شبل الأسد امن من أن يعبث بأسد مسن في الاحتضار .

أنطونيو : بحق القمر والنجوم اجلدوه ولعمري إني سأجلد رجالاً من أكبر رعية قيصر ولو بلغوا العشرين لو رأيتهم يسيئون الأدب بلثم يدها ـ هي التي هنا ـ ما اسمها ؟ لقد كانت تسمى في يوم ما كليوباترا ؟ اجلدوه أيها الرجال حتى تروا وجهه يتقلص كوجه الأطفال من الألم ، ويئن أنيناً مرتفعاً طالباً الرحمة خذوه من هنا .

ثيراس : يا مارك أنطونيو .

أنطونيو : احملوه وعندما توسعوه ضرباً أحضروه ثانية وإن هذا السافل التابع لقيصر سيحمل منا رسالة إليه .

(يخرج الخدم وثيراس)

[إلى كليوباترا] لقد كانت شهرتك ضعيفة عندما عرفتك وتركت فراشي بروما وما زال قشيباً ، وحرمت نفسي ذرية شرعية من امرأة هي جوهرة بين النساء ، وجئت هنا لكي تسيء إليَّ امرأة ، عطفها عليّ لا يعدو أن يكون كعطفها على خادم من خدمها !

كليوباترا : واعاراه يا سيدي الطيب !

أنطونيو : قد كنت كثيرة الخطأ دائماً ولكن إذا ما جعلتنا أخطاؤنا أشد قسوة فإن الآلهة تختم على بصائرنا وتجعلنا نقدس هذه الأخطاء . ونسر منها ونحن نسير الخيلاء إلى الهاوية .

كليوباترا : واعجباً كل العجب ! هل تعتقد فيّ هذا الاعتقاد السيىء ؟

أنطونيو : لقد وجدتك متعة لقيصر بل لبومبيوس ، ثم عافتك نفساهما كما يعاف الشبع فضلات الطعام ، وفضلاً على ذلك كانت شهوتك بهيمية واشتهرت بها إلى حد

الابتذال فإنك لا تعرفين العفة ولكنك تدركين معناها .

كليوباترا : ولم كل ذلك ؟

أنطونيو : ذلك لأنك قد سمحت لفتى مستعد دائماً لأن يأخذ أية هبة تقدم له وأن يشكر معطيها بقوله « أحسن الرب إليك » سمحت له بأن يعبث بيدك التي هي بغيتي ، هذه اليد التي تستأهل حب الملوك الذين يقدمون لها العهود والمواثيق على هذا الحب فيا ليتني كنت عجلاً يؤتى به لدار الذبح فأضطرب وأثور ، وعلا صوتي ، إن لدي من الأسباب ما قد يدفعني إلى الجنون . ولو أني أفصحت عنها بلغة هادئة لكان مثلي في هذا مثل الرجل المعلق في حبل المشنقة الذي يشكر الجلاد على مهارته في وضع الحبل حوله عنقه !!

(يعود الخدم ومعهم ثيراس)

هل جلدتموه ؟

الخادم الأول : جلداً قاسياً يا سيدي .

أنطونيو : هل صرخ واستغاث وطلب الصفح ؟

الخادم الأول : لقد طلب الصفح عنه .

أنطونيو : لو كان والدك حياً لندم لأنه لم يلد ابنة

بدلا منك فلتأسف على استعدادك لإطاعة
أوامر قيصر في نزواته لأنك جلدت من
جراء ذلك . ومن الآن فصاعداً ستدب في
جسمك الحمى عندما ترى يد امرأة
وترتعد فرائصك . ارجع إلى قيصر وقل له
كيف رحبنا بك هنا ، وإنه يسيء إلي !
لأنه يظهر الكبرياء والغطرسة ويذكر دائماً
الحالة التي صرت إليها ، وينسى ما كنت
فيه . إنه يسيء إليّ وليس أسهل عليه من
أن يفعل ذلك الآن لأن كواكب سعدي
التي كانت تهديني الطريق السوي فيما
مضت تركت مداراتها خالية منها وهوت
إلى سحيق الجحيم ، فإذا أغضبه كلامي
والمعاملة التي عاملتك بها فنبئه بأن رفيقي
هيراكس الذي اعتقته له أن يجلده أو
يشنقه أو يعذبه كما يشاء كي يقتضي منه
دينه ، ولح عليه في هذا . ارحل .

كليوباترا : هل انتهيت ؟ .

أنطونيو : واأسفاه إن قمر السماء قد خسف وخسوفه
لا ينبىء بشيء سوى هلاك أنطونيو .

كليوباترا : علينا أن ننتظر حتى تهدأ ثورة غضبه .

أنطونيو : لأجل أن تتملقي قيصر تتبادلين نظرات
الحب وشخصاً وضيعاً فحسب .

كليوباترا : لم تعرفني بعد .

أنطونيو : ألم يصب قلبك الفتور بالنسبة إليَّ ؟

كليوباترا : يا عزيزي لو كنت كذلك فليخلق الرب من قلبي البارد بَرَدَاً ويسمم منبعه وتسقط أول بردة منه على رأسي وتذوب فتذوب معها نفسي ، ثم تسقط على رأس ولدي قيصرون فيموت ويموت معه كل المصريين الباسلين الذين دمرتهم هذه العاصفة وطرحتهم أرضاً ، وتترك جثثهم ليأكلها ذباب النيل وبعوضه .

انطونيو : إني مكتف بهذا . من المؤكد أن قيصر سيقيم معك بالإسكندرية وسيبدأ حصاره للمدينة وسأقابله وأقضي على حظه السعيد الذي قدر أن يلازمه ، وقواتي البرية أصبحت متماسكة وأسطولنا لم شعثه والتأم صدعه وأصبح جديراً بأن يخوض غمار معركة بحرية . أين كنت يا شجاعتي ؟ هل تسمعين يا سيدة ؟ فإذا قدر لي أن أعود من القتال لألثم هاتين الشفتين مرة أخرى فسأكون مخضباً بالدماء ، وأنا وسيفي سنستحق شهرة عظيمة . ولا داع لليأس .

كليوباترا : لقد تكلمت بشجاعة يا سيدي .

انطونيو : ستكون قوتي مضاعفة ، وكذلك شجاعتي
وعزمي ولا يفر مني فرد . فعندما كنت
محظوظاً كنت سخياً في العفو عن الناس
أما الآن والناس تزدريني وتمطرني وابلاً
من النكات عندما خانني الحظ وتقلص
مجدي وضاعت مهابتي فسأتنمر وأقضي
على كل من يقف في طريقي .
هيا بنا نقض ليلة أخرى مرحة . ادعي إليَّ
كل قوادي الآسفين واملئي كؤوسنا مرة
أخرى وسنسرف في لهونا وسرورنا ليلاً
مهما طال الوقت .

كليوباترا : إنه عيد ميلادي ولكن لقد كنت عزمت ألا
أحتفي به إلا احتفاء حزيناً كدراً ولكن بما
أن أنطونيو قد عادت إليه نفسه فإني سأعود
كليوباترا مرة ثانية .

أنطونيو : ما زال هناك متسعاً من الوقت للنجاح .

كليوباترا : ادعوا كل قواد سيدي الشرفاء إليه .

أنطونيو : نعم ادعهم وسأحادثهم وسأجعلهم
يسرفون في شرب الخمر إسرافاً شديداً
حتى يخرج من ندب جراحهم . تعالي يا
ملكتي فإني ما زلت قوياً وعندما أحارب
في المرة الثانية سأتحدى الموت في
حصد الأرواح لأريه من منا يحصد بمنجل

الردى أكثر من خصمه .

أنوبارباس : إن إسرافه في الجنون وهياجه وغضبه سيكسبانه جرأة وإقداماً ، وعندئذ يستنسر البغاث ، هذا إلى أني أرى أنه كلما ضعفت قوى أنطونيو العقلية عادت إليه شجاعته وعندما تتسلط الشجاعة على العقل تقتل ما كان أصدق أسلحتها. سأبحث عن وسيلة لتركه وشأنه .

(يخرج الجميع ما عدا انوبارباس)

(يخرجون)

الفصل الرابع

المشهد الأول

أمام الإسكندرية ، معسكر قيصر

(يدخل قيصر وأغريبًا ومسنس ومعه جيشه ، ويقرأ خطاباً)

قيصر : إنه يدعوني ولداً ويؤنبني كما كان يفعل ذلك ولو كان قوياً لطردني من مصر ، ولقد ضرب رسولي بالسياط ، ويدعوني لمبارزته منفردين وجهاً لوجه ، قيصر وأنطونيو!! ألا فليعلم ذلك الشرير العجوز أني لو أردت الموت لا أحط من قدري وأنازله . أما الان فما عليَّ إلا أن أسخر من تحديه .

مسنس : يجب أن يعلم قيصر أنه عندما تأخذ سورة الغضب رجلاً عظيماً كهذا ـ فإن من السهل اقتناصه والقضاء عليه ، فإن الرجال الذين تستولي عليهم حدة الغضب مثله الآن يهملون دائماً الاحتياطات الضرورية لسلامتهم .

قيصر : أبلغوا أكفاء قوادي أننا في الغد سنخوض

غمار آخر موقعة من المواقع الكثيرة التي حاربنَا فيها ، ومن بين صفوفنا كثير ممن خدموا مارك أنطونيو مؤخراً ، وفيهم الكفاية للقبض عليه ، فنفذوا أوامري وأحسنوا طعام الجنود ، والمؤونة التي معنا كافية لذلك ! لأنهم يستحقون أن نسرف لهم في المأكل والمشرب . ما أتعسك يا أنطونيو !! .

المشهد الثاني

الإسكندرية ، قصر كليوباترا

(يدخل أنطونيو ومعه كليوباترا وأنوبارباس وشراميان وارس والكساس وآخرون)

أنطونيو : يرفض أن ينازلني يا دمتس .

أنوبارباس : نعم .

أنطونيو : ولم ذلك ؟

أنوبارباس : إنه يظن أن حظه أفضل من حظك ، عشرين مرة وبذلك يكون أقوى منك .

أنطونيو : في الغد أيها الجندي سأحاربه في البر والبحر : فإما أن أعيش وإما أن أموت مخضباً شرفي بالدماء ، فأحيا بعد الممات . هل تستطيع أن تجيد القتال ؟ .

أنوبارباس : سأطعن وأصيح : « فلنستول على كل شيء » إما النصر وإما الموت .

أنطونيو : حسناً ما قلته ، هيا بنا ، وادع خدم منزلي

ولنسرف الليلة باستمتاعنا بالمأكل والمشرب .

(يدخل ثلاثه أو أربعة مں الحدم)

هز.. بدك ، لقد كنت خادماً شديد الإخلاص وأنت ، وأنت ، وأنت ؛ لقد خدمتموني خدمة طيبة ، ولقد شارككم بعض الملوك في هذا .

كليوباترا : ما الذي يقصده بذلك ؟

أنوبارباس : (على انفراد مع كليوباترا) إنها نزعة من النزعات التي يسببها الحزن .

أنطونيو : وأنت كنت مخلصاً أيضاً ، فيا ليتني أستطيع أن أكون مجموعة أشخاص في شخص واحد هو أنطونيو ؛ حتى أستطيع أن أسد دين ولائكم لي وأكون مخلصاً لكم كما كنتم لي .

الجميع : معاذ الرب !

أنطونيو : يا فتياني الطيبين ، اخدموني الليلة املأوا أقداحي كما اعتدتم عندما كنت سيداً لإمبراطورية تطيع أوامري مثلكم .

كليوباترا : (على انفراد إلى انوبارباس) ماذا يقصد ؟

أنوبارباس : (على انفراد مع كليوباترا) إنه يريد أن يستعطف خدمه .

أنطونيو : اخدموني الليلة فلربما كانت آخر خدمتكم لي ، وقد لا ترونني مرة أخرى ، وإذا رأيتموني فستجدونني خيالاً لعظمتي السابقة ، وجثة مثخنة بالجراح ، وفي الغد ربما تخدمون سيداً آخر ، وكأني بكم الآن تودعونني يا أصدقائي الأمناء ، إني لا أطردكم من خدمتي ، ولكن الموت يفعل ذلك . اخدموني الليلة ساعتين لا أكثر وأرجو أن نكافئكم على ذلك .

أنوبارباس : ما الذي تقصده يا سيدي بإدخال الحزن على أنفسهم . انظر ؛ إنهم يبكون ، وها قد أغرورقت عيناي أيضاً بالدموع ، واخجلاه ! لا تحملنا على البكاء كالنساء .

أنطونيو : وي ! وي ! وي ! فلتسحقني الساحرة بقوة سحرها الخبيث إذا قصدت ذلك ، إن العطف ينبت حيث تسكب هذه الدموع ، يا أصدقائي المخلصين ، لقد فهمتم كلماتي على أنها كلمات حزن وأسى ، غير أني لم أقصد إلا مسرتكم ، وأن تأخذوا قسطكم كاملاً من اللهو طول

الليل . واعلموا يا أعزائي أن لي أملاً طيباً في الغد ، وسأقودكم وأنتظر أن أعيش عيشة المنتصر ، وذلك خير لي من أن أموت موتة شريفة ، هيا إلى العشاء ، ولتمرحوا ولتقضوا وقتاً في لهو ولعب .

(يخرجون)

المشهد الثالث

الإسكندرية ـ أمام القصر

(يدخل جنديان إلى دركهما)

الجندي الأول : عم مساء يا زميلي، إن غداً سيكون يوم الفصل .

الجندي الثاني : سيبرم فيه الأمر إما لهذا وإما لذاك، وداعاً. هل سمعت عن شيء غريب في الشوارع؟

الجندي الأول : لم أسمع شيئاً فما الأخبار؟

الجندي الثاني : من المحتمل أنها مجرد إشاعة. أسعدت مساء .

الجندي الأول : أسعدت مساء يا سيدي .

(يدخل جنديان آخران)

الجندي الثاني : أيها الجنديان تيقظا في حراستكما .

الجندي الثالث : وأنت أيضاً، أسعدت مساء، أسعدت مساء .

(يقفون في كل ركن من أركان المسرح)

الجندي الرابع : سنحرس هنا. إذا انتصر في الغد أسطولنا

فإني شديد الأمل في أن جيشنا البري سيقاوم .

الجندي الثالث : إنه جيش شجاع صادق العزيمة .

(موسيقى من مزامير من الخشب وكأنها تسمع من تحت المسرح)

الجندي الرابع : سمعاً، ما هذا الصوت؟

الجندي الأول : اصغ، اصغ .

الجندي الثاني : استمع!

الجندي الأول : موسيقى في الهواء .

الجندي الثالث : تحت الأرض .

الجندي الرابع : إنها علامة حسنة أليس الأمر كذلك؟

الجندي الثالث : لا .

الجندي الأول : أقول لكم. اسكتوا. وما معنى هذا؟

الجندي الثالث : إنه الإِلَه الجبار هرقل الذي يحبه أنطونيو وقد تخلى عنه الآن .

الجندي الأول : هيا بنا نسر لنرى: أسمع الحراس الآخرون ما نسمع؟

(يتقدمون لدرك حارس آخر)

الجندي الثاني : ما الخبر يا رفاقي ؟

الجميع : (يتكلمون معاً) ما الخبر! هل تسمعون هذا؟

الجندي الأول : نعم أوليس ذلك غريباً؟

الجندي الثالث : هل تسمعون أيها الزملاء؟ هل تسمعون؟

الجندي الأول : هيا بنا نقتفي أثر الضوضاء حتى نهاية درك حراستنا وننظر كيف تنقطع الضوضاء .

الجميع . : حسن جدّاً . وإنه لأمر عجيب .

(يخرجون)

المشهد الرابع

حجرة في القصر

(يدخل أنطونيو وكليوباترا، وشراميان وغيرهم من الحشم)

أنطونيو : يا أوروس عليّ بدرعي يا أوروس .

كليوباترا : نم قليلاً .

أنطونيو : لا يا حبيبتي تعال يا أوروس ،درعي يا أوروس .

(يدخل أوروس ومعه الدرع)

: تعال أيها الفتى الطيب وألبسني درعي .
إذا لم يساعدنا الحظ اليوم فما ذلك إلا لأننا نتحداه: هيا .

كليوباترا : ولكني سأساعد أنا أيضاً. لأي شيء هذا؟

أنطونيو : هذا ليس من عملك. فإن عملك هو أن تبعثي في قلبي الشجاعة العظيمة الفائقة لا أن تدرعيه بالحديد .

كليوباترا : هذا أمر مؤكد. سأساعد هذا ما يجب أن يكون .

أنطونيو : حسن، حسن. سننجح الآن. ألا ترى

أيها الفتى الطيب كيف تسلحت تسليحاً
تاماً. اذهب والبس سلاحك .

أوروس : سريعاً يا سيدي؟

كليوباترا : أليس هذا محكم التزرير؟

أنطونيو : ليس بعد، ليس بعدُ. ومن يجسر على
حلّه إلا بإرادتنا عندما نخلعه لنستريح فإنه
سيلقى جزاء قاسياً، أنت تخطىء يا
أوروس وملكتي أكثر مهارة منك فأسرع.
يا حبيبتي تستطيعين أن تري أسلوبي في
الحرب اليوم والخطة المحكمة التي
سأتبعها. إنك سترين رجل جد لا يعبث
في القتال .

(يدخل جندي مسلح)

: أسعدت صباحاً يا هذا. ومرحباً. يظهر
عليك أنك رجل ماهر في القتال. إن
العمل يجعلنا نستيقظ مبكرين ونبدؤه
فرحين .

الجندي : ولو أن الوقت ما زال مبكراً: فإن ألفاً من
الجنود قد ذهبت بكامل عتادهم
وأسلحتهم إلى باب المدينة ينتظرونك .

(جلبة ـ ترنيم من الأبواق يدخل الضباط والجنود)

ضابط : إن الصباح صحو. أسعدت صباحاً أيها

القائد .

الجميع : أسعدت صباحاً أيها القائد .

أنطونيو : إنه يوم بهيج الشمس ساطعة، ويشبه هذا الصحو المبكر في صباحنا بروح الشباب المتطلع إلى الشهرة في أقرب فرصة. هيا، هيا، ناولني هذا من هنا. حسناً فعلت وداعاً. وداعاً. (يقبلها) هذه قبلة جندي، وإن من يركن إلى آداب اللياقة المعروفة، ولا يكرّمك كما فعلت يستحق تأنيب الناس له، وإني أتركك الآن في ثبات الرجال وشجاعتهم، أما أنتم أيها الرفاق المقاتلون فسأقودكم إلى المعركة حيث يشتد القتال، وداعاً .

(يخرج أنطونيو وأوروس والقواد والجنود)

شراميان : أرجوك أن تذهبي إلى حجرتك

كليوباترا : خذيني إليها. إنه يذهب إلى النضال ببسالة، ولو تيسر له وقيصر أن ينهيا هذه الحرب في موقعة واحدة لتأكد النصر لأنطونيو. هيا تقدمي .

(تخرجان)

المشهد الخامس

الإسكندرية ، معسكر أنطونيو

(ترنيم من الأبواق يدخل أنطونيو وأوروس ويقابلهما جندي)

الجندي : ليت الآلهة تجعل هذا اليوم يوماً مباركاً لأنطونيو!

أنطونيو : ألم تطلب إليَّ وأنت الشجاع الذي تدل آثار جراحه على هذا ـ أن أحارب براً؟

الجندي : لو أنك فعلت ذلك لتبعتك اليوم الملوك الذين ثاروا عليك، والجندي الذي تركك هذا الصباح .

أنطونيو : من الذي تركني هذا الصباح؟

الجندي : من؟ واحد من أقرب الناس إليك. فادع أنوبارباس فإنه لا يسمعك، أو ربما أجابك من معسكر قيصر قائلاً: «لست من أتباعك الآن».

أنطونيو : ما الذي تقوله؟

الجندي : يا سيدي هو مع قيصر.

أوروس : ما زال متاعه وأمواله هنا لم يأخذها معه .

أنطونيو : هل ذهب ؟

الجندي : هذا أمر مؤكد .

أنطونيو : اذهب يا أوروس وأرسل أمواله إليه، ولا تحجز شيئاً منها مهما كان تافهاً، فقم بتنفيذ ذلك واكتب له كلمة وداع وتحيات رقيقة وسأوقع على هذا الخطاب، وقل له فيه: إني أرجو ألا يجد ما يجعله يستبدل بسيده الجديد سيداً آخر . واهاً لحظي، واهاً لحظي الذي أفسد الناس الأمناء! عجل! وي يا أنوبارباس .

(يخرجون)

المشهد السادس

معسكر قيصر

(ترنيم من الأبواق - يدخل قيصر وأغرابيا ومعهم أنوبارباس وآخرون)

قيصر : اذهب يا آغرابيا، وابدأ المعركة وأرغب بأن يؤسر أنطونيو. هيا فأعلن ذلك .

أغريبًا : سأفعل .

قيصر : لقد اقترب وقت السلام العام، ولو نجحنا في هذا اليوم، فإن أقسام الأرض الثلاثة ستتمتع بهذا الـ لام .

(يدخل رسول)

الرسول : لقد جاء أنطونيو إلى ميدان المعركة

قيصر : اذهب يا أغريبًا وضع في المقدمة الجنود الذين فروا من أنطونيو حتى ينشب أظفار غضبه في جنوده .

(يخرج الجميع ما عدا أنوبارباس)

أنوبارباس : لقد خرج الكساس عليه، وذهب إلى هيرودتس ملك اليهود بحجة أن يستميله إلى جانب أنطونيو، إلا أنه حمله على أن

ولقد شنقه قيصر على فعلته هذه، وقد يرحب قيصر بكندياس وآخرين ممن نقضوا عهدهم مع أنطونيو ،ولكنه لا يثق بهم، ولعمري إني قد أسأت التصرف، وإني أتهم نفسي بهذا وأقرر أني لن أسر بعد .

(يدخل جندي من جنود قيصر)

الجندي : لقد أرسل لك أنطونيو يا أنوبارباس في أثرك كل أموالك ومعها هدايا من عنده، وجاء الرسول في دركي، وهو ينزل حمولة من على ظهر البغال الآن عند خيمتك .

أنوبارباس : إني أهبها لك .

الجندي : لا تسخر مني يا آنوبارباس. فقد قلت حقاً. ومن الخير أن تؤمن طريقه إلى خارج المعسكر، أما أنا فيسرني أن قمت بأداء مهمتي، إنه ما زال إمبراطوراً شريفاً كالإله المشتري .

أنوبارباس : أنا وحدي شر مخلوقات الأرض، ولا يشعر أي شخص بالمرارة أكثر مني، ويا أنطونيو ،كم تكون كريماً لو أني خدمتك بإخلاص أكثر إذا كان كرمك لي على ثورتي عليك الذهب! لعمري إن هذا

ليفعم قلبي بالأسف؛ حتى ليكاد ينفجر،
وإذا كان هذا الأسى لا يقضي عليّ
فسأعمد إلى وسيلة أخرى. سأحارب
ضدك. لا. سأذهب للبحث عن خندق
لأدفن نفسي به، إذ لا يلائم البقية من
حياتي سوى الضعة والدنس .

(يخرج)

المشهد السابع

ميدان القتال بين المعسكرين

(تنبيه بالطبول والأبواق، يدخل أغريبًا وآخرون)

أغريبًا : ارجعوا فلقد خاطرنا أكثر من اللازم، وحماستنا تغلبت على حكمتنا، وإن قيصر مضغوط عليه وإنهم يرهقوننا بأكثر مما كنا ننتظر .

(يخرج)

(تنبيه: يدخل أنطونيو وسكاروس مجروحاً)

سكاروس : : يا إمبراطوري الباسل: هذا قتال حق، ولو أنا بدأنا المعركة بهذه الشدة لطاردناهم إلى منازلهم وهم مثخنون بالجراح .

أنطونيو : أنت تنزف الكثير من الدم .

سكاروس : أصبت بجرح صغير ثم اتسع .

أنطونيو : إنهم يتراجعون .

(يدخل أوروس)

أوروس : لقد هزموا يا سيدي، وتفوقنا عليهم كفيل بأن يمنحنا انتصاراً عظيماً .

سكاروس : فلندمغ ظهورهم ولنقبض على أعناقهم كما تقتنص الجوارح الأرانب .

أنطونيو : سأكافئك لإثارتك حماسي مرة، وأكافئك عشرة أضعاف ذلك لأجل شجاعتك العظيمة. هيا معي .

سكاروس : سأمشي مشية العرجاء في إثركما على قدر ما أستطيع .

(يخرجون)

المشهد الثامن

بجوار أسوار الإسكندرية

(تنبيه: يدخل أنطونيو سائراً وسكاروس مع آخرين)

أنطونيو : لقد انتصرنا عليه ورددناه إلى معسكره فليسبقنا أحدكم ويخبر الملكة بأعمالنا الجليلة:
وفي الغد قبل أن تطلع الشمس علينا سنريق دم أولئك الذين نجوا اليوم وإني أشكركم؛ إذ برهنتم على أنكم جنود بواسل وقاتلتم لا كالجنود المرتزقة، بل كأنكم كنتم تحاربون من أجل أنفسكم لا من أجلي فلقد برهنتم على بطولتكم، فادخلوا المدينة وقبلوا زوجاتكم وأصدقاءكم واشرحوا لهم أعمالكم فإنهم سيبكون من السرور ويمسحون الدم المتجمد فوق جراحكم، ويقبلون هذه الجروح فتندمل (إلى سكاروس) هات يدك.

(تدخل كليوباترا ومعها الأتباع)

: سأمدح أعمالك لهذه الساحرة، وأجعلها تباركك بشكرها (إلى كليوباترا): يا زينة الدنيا، ضميني وضعي يديك حول رقبتي المسلحة، وثبي بكل جسمك وملابسك وانفذي في صدري المدرع إلى قلبي واجلسي فوق لهاثي الذي ينبعث منه بالانتصار .

كليوباترا : يا سيد السادة، ويا أيها البطل العظيم الفائق الشجاعة ،هل جئت مبتسماً ناجياً من الحرب مجزرة العالم؟

أنطونيو : يا بلبلتي، لقد هزمناهم، واقتفينا أثرهم حتى ارتدوا إلى مضاجعهم، فلا تعجبي يا فتاتي، إذ مع أن خيوطاً من الفضة أخذت تختلط بخيوط الشباب السمراء في رأسي - إن لي عقلاً يغذي أعصابي ويجعلني أتمكن من إصابة المرمى كأفضل الشباب رمياً. انظري إلى هذا الرجل. وتنازلي بأن تمدي إليه يدك المباركة ليلمسها بشفتيه (قبّلها أيها البطل) لقد حارب اليوم كأنه إله كره العالم فراح ينشر الدمار والهلاك فيه .

كليوباترا : سأهدي إليك يا صديقي درعاً مصنوعاً جميعه من الذهب والفضة وقد كان لأحد

الملوك .

أنطونيو : إنه يستحقه حتى ولو كان مرصعاً بالعقيق كعربة إله الشمس. هات يدك. دعنا نخترق الإسكندرية سائرين متئدين هادئين حاملين مجناتنا المفلولة ونسير بها الخيلاء كما يليق برجال حملوها استعملوها كالشجعان البواسل، ولو أن في القصر متسعاً لحشدنا جميع هؤلاء الجنود فيه حتى نتعشى جميعاً معاً ونشرب نخب انتصارنا في معركة الغد التي ستكون حامية الوطيس كثيرة المخاطر .

أي نافخي الأبواق، انفخوا حتى تصموا آذان أهل المدينة واجعلوا هذه الأصوات تختلط بدق الطبول وتخلط أصداء هذه الأصوات جميعها بعضها ببعض وتبشر بقدومنا .

(يخرجون)

المشهد التاسع

معسكر قيصر

(الحراس في مراكزهم)

الجندي الأول : إذا لم يأت بديلنا هذه الساعة فلا بد من العودة إلى ثكنة الحرس إن هذه الليلة مقمرة، ويزعمون أننا سنستعد للقتال في الساعة الثانية صباحاً .

الجندي الثاني : إن اليوم المنصرم كان شؤماً علينا .

(يدخل أنوبارباس)

أنوبارباس : أشهد عليّ أيها الليل .

الجندي الثالث : أي رجل هذا؟ .

الجندي الثاني : قف قريباً منه وأنصت إليه .

آنوبارباس : واشهد علي أيها القمر المبارك، عندما يذكر أولئك الخونة عهودهم ومواثيقهم ويحتقرون احتقاراً مزرياً من جراء نكثها، تذكر أن أنوبارباس التعس اعترف بخطئه أمامك .

الجندي الأول : أنوبارباس

الجندي : اصمت واستمع .

أنوبارباس : أيها القمر الذي ينسب إلى تأثيرك أعمق الحزن وهو الجنون، أنزل عليّ ماء مسموماً من السماء حتى تفارقني الحياة اللهم إلا إذا كانت مستعصية على إرادتي، واقذف بقلبي على صخور حظي وجلموده حتى يسحق ويصير هباء، ويقضي على كل أفكار السوء .
يا أنطونيو، إن فضيحة خروجي عليك وشناعته أقل من كرم أخلاقك، فاصفح عني في قرارة نفسك، ولكن عندما تُسجل أفعال أمثال هؤلاء المجرمين أصبح كالعاق لسيده والفار من الحرب، وارحمتاه يا أنطونيو! وارحمتاه !

(يموت)

الجندي الثاني : دعنا نكلمه

الجندي الأول : فلننصت لأنه يقول شيئاً قد يمس قيصر .

الجندي الثالث : لا مانع لدي ولكنه قد نام .

الجندي الأول : لقد أغمي عليه، لأن اللعنة التي صبها على نفسه لا تحدث النوم مطلقاً .

الجندي الثاني : فلنذهب إليه .

الجندي الثالث : استيقظ يا سيدي، استيقظ وكلمنا .

الجندي الثاني : هل تسمع يا سيدي ؟

الجندي الأول : لقد اختطفته يد الموت (صوت طبول من بعيد)إن صوت الطبول يوقظ النوام فرحين، فلنحمله إلى ثكنة الحرس لأنه رجل ذو مكانة ولقد انتهت ساعة حراستنا .

الجندي الثالث : هيا إذن! لأن الحياة ربما عادت إليه .

(يخرجون ومعهم الجثة)

المشهد العاشر

بين المعسكرين

(يدخل أنطونيو وسكاروس مع جيشهما)

أنطونيو : إنهم يستعدون للقتال في البحر! إذ لم يسرهم لقاؤنا في البر.

سكاروس : هم يستعدون للمعركتين يا سيدي.

أنطونيو : ليتهم يقاتلوننا في النار والهواء، فإننا متأهبون تماماً لملاقاتهم هناك أيضاً، وآمركم أن نحتفظ بمركزنا على التلال المشرفة على المدينة، وقد أصدرت أوامري للاستعداد للمعركة البحرية. ولقد أقلعوا بعيداً عن الشاطيء، فلنتقدم إذن حتى نطلع على عدتهم ونرقب هجومهم على الأسطول.

(يخرجون)

المشهد الحادي عشر

جزء آخر من الأرض بين المعسكرين

(يدخل قيصر وجيشه)

قيصر : سنبقى ساكنين في البر إلا إذا هوجمنا، وأظن أنا نستطيع ذلك، لأن أحسن جنودي ذهبت للأسطول ،فتقدموا إلى الوديان، وهناك نعيد ترتيب جنودنا لصالحنا.

(يخرجون)

المشهد الثاني عشر

جزء آخر من الأرض بين المعسكرين

(يدخل أنطونيو وسكاروس)

أنطونيو : لم يلتحم الفريقان بعد، وسأقف عند شجرة الصنوبر هناك لأرقب كل شيء، وسأخبرك حالاً بما ستصير إليه الأمور .

(يخرج)

سكاروس : لقد بنت عصافير الجنة أعشاشها في سفن كليوباترا، ولا يعلم العرافون ما ينبىء عنه هذا، ويقولون إنهم لا يستطيعون تأويله، وإنهم ينظرون مكتئبين ولا يجسرون على الإفضاء بعلمهم، على أن أنطونيو شجاع، ولكنه في لحظة يكون متفائلاً وفي أخرى متشائماً، والوقت بين الفترتين وجيز، وإن حظه الممتزج فيه الخير والشر يبعث فيه الأمل بأن يستبقي ما في يده، ثم يجعله يقنط خوفاً من الشر الذي سينزل به .

(تنبيه من بعيد يسمع كأنه صوت موقعة بحرية)

(يعود أنطونيو)

أنطونيو : لقد خسرت كل شيء، وإن هذه المصرية القذرة قد تركتني، واستسلم أسطولي للعدو، وهناك أعدائي يقذفون بقبعاتهم إلى السماء سروراً وابتهاجاً، وسيلهون بالشراب وكأنهم أصدقاء اجتمعوا بعد فراق طويل.

أيتها العاهرة الفاجرة! إنك أنت التي بعتني إلى ذلك الشاب، وإن قلبي ثائراً عليك دون غيرك. أخبر رجالي بأن يفروا جميعاً لأن أمرنا سينتهي بعد أن أنتقم من ساحرتي وأشفي غليلي منها، فاذهب.

(يخرج سكاروس)

أيتها الشمس لن أرى شروقك مرة أخرى إن حسن الحظ وأنطونيو قد افترقا هنا، ومع ذلك سأصافحك مودعاً. هل آل الأمر إلى هذا إن الذين كانوا يتبعونني بقلوبهم كظلي والذين منحتهم كل رغباتهم - يختفون الآن بعيدين عني ويتملقون قيصر الآخذ حظه في الصعود بألفاظهم الحلوة. وهذه الشجرة التي كانت تظللهم جميعاً تساقطت أوراقها وأصبحت عرضة للاضمحلال. وإني لا أشك في أن هذه المصرية الخائنة قد خدعتني، هذه

الساحرة القاتلة التي كان مجرد نظراتها تدفعني إلى الحرب أو تدعوني إلى صدرها، والتي كان حبها أنبل ما كنت أبتغيه ـ قد مثلت معي دور (الغجرية) المتقلبة، فانخدع قلبي وخسرت كل شيء، أوروس يا أوروس

(تدخل كليوباترا)

: أيتها الساحرة أغربي عني

كليوباترا : لماذا سيدي غاضب من حبيبته؟

أنطونيو : اغربي عن وجهي، وإلا قابلتك بما تستحقين وقتلتك حتى يحرم قيصر إظهار مجده بحملك معه في حاشيته عندما يدخل روما، فليأخذك ويعرضك على أنظار الشعب الصاخب، ولتسيري في إثر مركبته كأنك أكبر فضيحة لجنسك، ويسمح برؤيتك لمن يرغب فيها نظير دريهمات. وأوكتافيا، التي صبرت طويلاً متألمة ألماً شديداً ستخمش وجهك بأظافرها.

(تخرج كليوباترا)

اخرجي خير لك، لأنك لو بقيت لقتلتك، وإني أقول: «ربما كان من الخير أن تعيشي، وقد يكون خيراً من هذا موتك أثناء غضبي، حتى لا تتحملي آلام الموت

مرات كثيرة بسبب جبنك ».
: يا أوروس ! لقد تسربلتُ رداء مسموماً
،فعلمني يا هرقل وأنت سلفي غضبك
لأستطيع قذف الرجل حتى يصل إلى
القمر، وبأيد كهذه التي تحمل أثقل
العصي علمني كيف أقتل نفسي الباسلة
التي هي من سلالتك !

ستموت الساحرة، لأنها باعتني لهذا الولد
الروماني الصغير، وقد سقطت بفضل
مؤازرتهما معاً، وستموت حتماً من أجل
ذلك يا أوروس!

المشهد الثالث عشر

قصر كليوباترا

(تدخل كليوباترا وشرامیان وإرس ومرادیان)

كليوباترا : النجدة يا نسائي! إنه أكثر جنوناً من ذلك البطل الذي فقد مجنه، وإنه يرغي ويزبد أكثر من الوحش.

شرامیان : إلى الهيكل! وهناك احجبي نفسك، وأرسلي من يخبره بأنك مت. إن نزع الروح من الجسم ليس أكثر بشاعة من انقشاع العظمة عن فرد تمتع بها أمداً طويلاً.

كليوباترا : هيا إلى الهيكل يا مرادیان، اذهب وأخبره أني قتلت نفسي وقل له: إن آخر كلمة نطقت بها كانت: «أنطونيو» واجعل وصفك مملوءاً بالأسى والحزن، هيا اذهب وارجع لتخبرني كيف أثر فيه خبر موتي. إلى الهيكل!

المشهد الرابع عشر

أرض بين المعسكرين

(أنطونيو وأوروس)

أنطونيو : لأنك تراني الآن أنطونيو، ولكنك قد لا تستطيع رؤيتي كهذا الشبح الذي تخيلته يا خادمي. لقد خضت هذه المعارك من أجل كليوباترا، هذه الملكة التي ظننت أنني استوليت على نفسها لأنها سلبت عقلي، وذلك القلب الذي تعلق به ألوف الألوف من القلوب، وارتبطت به ارتباطاً وثيقاً بالحب ـ قد فقدته الآن، وهي يا أوروس قد تآمرت هي وقيصر عليَّ واختلست مني مجدي فانتصر عليّ عدوي، لا تبك يا أوروس الشفيق فما زالت لدينا القدرة لنضع حداً لحياتنا بأيدينا.

(يدخل مراديان)

: ما أخبث سيدتك! لقد سلبت مني سيفي.

مراديان : لا يا أنطونيو، إن سيدتي أحبتك وكان

مصيرها مرتبطاً بمصيرك .

أنطونيو : اغرب عن وجهي أيها الخصي الوقح !
حقاً إنها خانتني وستموت ميتة الخائنات .

مراديان : إن الإنسان لا يموت إلا موتة واحدة ولقد أنجزت ذلك، رما نويت أن تفعله نفذته هي بيدها، وكانت آخر كلمة نطقت بها: « يا أنطونيو ، يا أشرف الناس »، ثم انتحبت انتحاباً شق صدرها وأخرس لسانها على حين كانت تلفظ اسمك، وقطعت شفتاها نصفه، أما النصف الآخر فنزل إلى قلبها وأسلمت الروح إلى خالقها واسمك في ثنايا صدرها .

أنطونيو : هل ماتت إذن؟

مراديان : لقد ماتت .

أنطونيو : اخلع عني لباس الحرب، لقد انتهى عمل اليوم الطويل، ويجب أن ننام (إلى مراديان) يجب أن تعد نفسك سعيد الحظ لتنجو بحياتك بعد أن جئت بمثل هذا الخبر فاذهب .

(يخرج مراديان)

اخلع، اخلع. إنه درع مصنوع من سبع طبقات، ولكنه مهما كان قوياً فإنه لا يقوى على مقاومة النبضات الشديدة المنبعثة من

قلبي. أيتها الضربات شقي جنبي! ويا أيها القلب كن قوياً وحطم هذا القفص الضعيف. إليك عني بعيداً! إليك عني يا أوروس بعيداً! فلن أقاتل بعد، فاذهبي أيتها العُدّة المحطمة، ولقد حملك نبيل. اتركني لحظة.

سألحق بك يا كليوباترا في العالم الآخر، وأطلب منك الصفح بدموعي، إذ يجب أن أنهي هذه الحياة، لأن طولها بعدُ عذاب، فقد انطفأ النور الذي كان يرشدني في خطواتي في الحياة، لذلك يجب أن أموت ولا أسير في الظلماء التي سببها اختفاؤه. والآن كل عمل خسارة. وحقاً قد يسوء الحظ فتصبح هباء كل المجهودات العظيمة، وما نراه سبب النجاح قد لا ينشأ عنه إلا الخيبة والحرمان. فالواجب إذن أن أنهي كل شيء. أوروس! إني قادم يا ملكتي! أوروس! انتظريني وسنسير يداً بيد على شواطىء من الأزهار في جنات النعيم. وسيكون ابتهاجنا وحماستنا مما يجعل الأشباح تحملق فينا من الدهشة والإعجاب، وتلتف حولنا هاجرة المحبين

الآخرين. تعال يا أوروس! يا أوروس.

(يعود أوروس)

أوروس : ما الذي يريده سيدي؟

أنطونيو : بعد أن ماتت كليوباترا عشت وضيع الشرف حتى إن الآلهة نفسها تكره انحطاطي، أنا الذي قسمت الدنيا كما أردت وعلى ظهر المحيط قدت السفن العظيمة التي كان اتساعها كافياً لإيواء مدينة بأسرها، ولا أحط بنفسي بأن أكون أقل شجاعة من امرأة أو أقل شرفاً منها، تلك التي تقتل نفسها قد هزأت بقيصر وكأنها تقول له: إنها سيدة نفسها، يا أوروس، لقد آليت على نفسك أنك عندما تدعو الحاجة الملحة ـ وهي الآن تدعوك وعندما أرى العار والفضيحة تتبعني حتى لا أستطيع الإفلات منها ـ آليت على نفسك أنك ستقتلني طوع أمري، فنفذ هذا الأمر الآن، فلقد حان الوقت. وإنك لا تضربني بل تخذل قيصر، فهيا شد أزرك ولا تتخاذل ونفذ.

أوروس : فلتمنعني الآلهة! هل أفعل ما عجزت عنه اسلحة أهل برثيا الذين كانوا اعداءك، ومع ذلك أخطؤوا المرمى ولم يصيبوك؟

أنطونيو : هل تريد أن تقف في نافذة في روما العظيمة وترى سيدك مكفوف الأيدي منحني الرأس من الإذلال والخضوع ووجهه ينم عن الذل العميق الذي نفذ فيه في حين يركب قيصر ذو الحظ العظيم مركبة فخمة وكأنها تدمغ من يتبعها بوصمة العار والفضيحة !

أوروس : لا أود أن أرى هذا.

أنطونيو : هيا إذن ؛ فإن العار الذي لحقني لا يغسله إلا دمي، أخرج سيفك الشريف من غمده، ذلك السيف الذي طالما كان مفيداً لمملكتك .

أوروس : سيدي أعفني من هذا .

أنطونيو : عندما أعتقتك ألم تقسم لي بشرفك أنك ستفعل هذا الأمر متى أمرتك؟ فافعله الآن وإلا كانت خدماتك التي أديتها لي غير صادقة، وإنما أتت عفواً بلا إرادة فجرّد السيف وتعال.

أوروس : أدر وجهك عني، ذلك الوجه الوقور الذي لا يقابل إلا بكل إعظام وإجلال .

أنطونيو : (يدير وجهه عنه) ها هو ذا انظر!.

أوروس : لقد سللت سيفي .

أنطونيو : اجعله يفعل ما سللته من أجله .

أوروس : يا قائدي، يا إمبراطوري، دعني أودعك قبل هذه الضربة القاتلة .

أنطونيو : هأنذا قد أجبتك وإني أودعك .

أوروس : أودعك أيها الرئيس العظيم. هل أضرب الآن؟

أنطونيو : الآن يا أوروس .

أوروس : ها هو ذا ما أنا فاعل (يقتل نفسه) وهذا ما أفعل لأفر من حزني على موت أنطونيو .

أنطونيو : إيه يا من هو أشرف مني! لقد علمتني ما يجب عليّ عمله مما لا تستطيعه أنت. إن ملكتي وأوروس قد اكتسبا مركزاً أعلى مني في تاريخ الأعمال المجيدة، وذلك بالشجاعة التي ضربا بها المثل لي، ولكني سأموت بقلب مفعم بالسرور كالعروس مثل قلب أوروس، وسأسارع إليه، وكأني أسارع إلى فراش الحبيب. هيا إذن، سأكون يا أوروس أنا الذي كنت رئيسك تلميذك في الموت، وأفعل هكذا (يقع على سيفه) كما علمتني كيف! ألم أمت! ألم أمت؟ أيها الحارس، أجهز علي .

(يدخل ديكرتاس والحراس)

الحارس الأول : ما سبب هذه الضجة؟

أنطونيو : لقد أسأت عملي يا رفاقي فأرجوكم أن تنهوا ما بدأت .

الحارس الثاني : لقد أفل النجم .

الحارس الأول : وانتهى بذلك كل شيء .

الجميع : واأسفاه وامصيبتاه !

أنطونيو : أرجو ممن يحبني أن يجهز عليّ .

الحارس الأول : لست أنا .

الحارس الثاني : لست أنا .

الحارس الثالث : ولا أي شخص آخر

(يخرج الحراس)

ديكرتاس : إن موتك وما أصابك من سوء الحظ يحمل أتباعك على الفرار ولو أريت هذا السيف لقيصر وأخبرته بما حصل لتيقنت حظوتي لديه ورعايته لي .

(يدخل ديومديس) .

ديومديس : أين أنطونيو؟

ديكرتاس : هناك يا ديومديس هناك.

ديومديس : أحي هو؟ ألا تجيبني يا رجل؟

(يخرج ديكرتاس)

أنطونيو : هل أنت هنا يا ديومديس؟ سل سيفك واطعني للقضاء علي .

ديومديس : يا سيدي الأوحد، لقد أرسلتني سيدتي كليوباترا إليك .

أنطونيو : متى أرسلتك؟

ديومديس : الآن يا سيدي؟

أنطونيو : أين هي؟

ديومديس : سجينة في هيكلها، ولقد شعرت بنذير سوء أنبأها بما حصل، لأنها عندما علمت أنك تسيء الظن بها وترميها بأنها تواطأت هي وقيصر عليك ـ مع أن هذا الظن ليس صحيحاً ـ وأن غضبك لم يهدىء ثورته احتجاجاً عليها ـ عندما علمت كل هذا أرسلت من ينبئك بموتها غير أنها خافت بعد ذلك تأثير هذا النبأ في نفسك فأرسلتني لأخبرك بالحقيقة، ولكني أخشى أن أكون قد حضرت بعد فوات الأوان .

أنطونيو : لقد سبق السيف العذل! يا ديومديس أرجو منك استدعاء حراسي .

ديومديس : يا رجال حرس الإمبراطور، أيها الحراس، هيا أقبلوا سيدكم يطلبكم .

(يدخل أربعة جنود أو خمسة من حرس جنود أنطونيو)

أنطونيو : احملوني يا أصدقائي الطيبين إلى مسكن

كليوباترا، وإنها لآخر خدمة أطلبها منكم .

الحارس الأول : الويل ثم الويل لنا إذا لم تعش حتى تنقضي أيام أتباعك المخلصين .

الجميع : ما أسوأه من يوم!

أنطونيو : لا يا زملائي الطيبين، لا ترْضوا الحظ القاسي بأن تقدموا له شيئاً قيماً كأسفكم، وإذا رحبنا بما يأتي لنا بقصد الإساءة إلينا فإنا نحرمه لذة الرضا، إذا ظهرنا بمظهر المزدري له. احملوني. وجزاء لي على قيادتكم في معارك كثيرة ـ أطلب إليكم أن تحملوني، وأن تقبلوا شكري على ما أديتموه لي من خدمات .

(يخرجون حاملين أنطونيو)

المشهد الخامس عشر

هيكل بقصر كليوباترا

(تدخل كليوباترا وخادمتها من أعلى الهيكل ومعها شراميان وإرس) .

كليوباترا : يا شراميان لن أدخل من هنا؟

شراميان : خففي عنك يا سيدتي العزيزة .

كليوباترا : لا ، لن يكون ذلك . سأتقبل كل الحوادث الغريبة والفظيعة، واحتقر المواساة، وإن الحزن الذي أشعر به عظيم قدر مسببه

(يدخل ديومديس)

: ما الخبر؟ هل مات؟

ديومديس : إنه مشرف على الموت، ولم يمت بعد، فانظري إليه من الجهة الأخرى من الهيكل فلقد أحضره حراسه هناك .

(يدخل أنطونيو يحمله الحراس) .

كليوباترا : أيتها الشمس احرقي مدارك الذي تسيرين فيه، واجعلي شواطىء العالم ومناظرها ظلاماً في ظلام، واأنطونياه! واأنطونياه! واأنطونياه! المساعدة يا شراميان! المساعدة يا إرس! النجدة أيها الأصدقاء!

هيا نحمله ونأت به إلى هنا .

أنطونيو : خففي من الحزن الشديد، فلم تقهر شجاعة قيصر أنطونيو، ولكن شجاعة انطونيو هي التي غلبت نفسها !

كليوباترا : نعم، يجب ألا يقهر أنطونيو سوى نفسه، ولكن ويل لنا من ذلك .

أنطونيو : إني سائر إلى الموت يا ملكة مصر، وإني لا محالة ميت، ولا أطلب من الموت إلا أن يمهلني قليلاً حتى أقبلك ألف قبلة هي آخر ما أضع على شفتيك.

كليوباترا : لا أجرؤ، لا أجرؤ يا سيدي العزيز ـ أن أنزل إليك مخافة أن أؤسر، إذ لا يمكن أن أزين حفل دخول قيصر روما منتصراً بأن أكون في حاشيته، وما دام للسكين حد، وللعقاقير تأثير وللأفاعي لدغ ـ فإني سأكون من أمن منه. وإن زوجتك أوكتاڤيا ذات العينين المتواضعتين والنظرات الثاقبة ـ لن أمتع ناظريها باحتقاري وذلي، ولكن هيا هيا يا أنطونيو، يجب أن نرفعك إلى هنا، وأنتن يا نسائي ساعدنني في ذلك، وعاونوا أيها الأصدقاء الطيبون .

أنطونيو : أسرعوا وإلا مِتّ .

كليوباترا : هذا جهد مضن. ما أثقل وزنك يا سيدي .

وإن حزننا العظيم قد استنفذ كل قوانا
وأضعف جهدنا ولو أن لي قوة ملكة
السماء لرفعتك إليَّ بسرعة عطارد ذي
الأجنحة القوية رسول الآلهة، وأجلستك
بجوار إله الآلهة، ومع ذلك تعال قليلاً؛
لأن مجرد الرغبة بدون جهد لا فائدة منها،
تعال، تعال، تعال، تعال.

(يرفعون أنطونيو إلى كليوباترا).

ومرحباً، ومرحباً، مت حيث الحياة
الحقيقية، ولتنعش نفسك بتقابل شفتينا،
ولو أن لشفتي القدرة على إعادة الحياة
إليك لبريتها من كثرة تقبيلي لك.

الجميع : إنه لمنظر ثقيل على النفس.

أنطونيو : إني أموت يا كليوباترا، أموت فاعطني
قليلاً من الخمر، ودعيني أتكلم قليلاً.

كليوباترا : لا، دعني أنا أتكلم، ودعني ألعن بأشنع
الألفاظ تلك العجوز الشمطاء التي تغزل
خيوط الحظ الخداع، والتي ستغضب من
سبي لها، وتنفث غضبها في مغزلها
وتكسره.

أنطونيو : كلمة واحدة يا ملكتي الجميلة: اصطلحي
أنت وقيصر، فهو وحده الذي يستطيع
المحافظة على شرفك وشخصك.

كليوباترا : هذان الشيئان لا يتفقان، فإذا اهتممت بأمر شخصي فقدت شرفي .

أنطونيو : اسمعي أيتها اللطيفة، ولا تثقي بمن حول قيصر إلا ببروكيلياس .

كليوباترا : سأعتمد على عزمي ويدي ولا أعتمد على شخص ما حول قيصر .

أنطونيو : لا تندبي التغيير السيىء بسبب موتي، ولا تحزني بسببه، فلك سلوى بذكرياتي السابقة وما كان فيها من حياة موفقة سعيدة، تمتعت بها؛ إذ كانت حياتي أعظم وأشرف من حياة سائر أمراء العالم، وإني الآن لا أموت ميتة مرذولة خاضعاً خضوع الجبان لمواطني قيصر، بل رومانياً شجاعاً قهره روماني آخر. إن روحي آخذة في الصعود إلى بارئها وقد فقدت قواي .

كليوباترا : يا أشرف الرجال، هل ترغب في الموت؟ هل تطيق أن تتركني وحيدة بدون من يحميني؟ وهل أقيم في هذه الدنيا الكئيبة التي لن يكون حظي فيها عند غيابك أحسن من حظ الخنازير؟ هيا، انظرن يا نسائي (يموت أنطونيو) إن تاج الأرض يتهدم، واسيداه! يا من كان زينة الحرب ومجدها، لقد هوى علم الأبطال وأصبح

الأولاد والبنات في مستوى واحد مع الرجال! ولقد رحل أعجوبة الدهر، ولم يبق أي شيء يستحق رؤية القمر عند طلوعه على الدنيا .

(يغمى عليها)

شراميان : صبراً وهدوءاً يا سيدتي .

إرس : لقد ماتت ملكتنا أيضاً .

شراميان : سيدتي !

إرس : سيدتي !

شراميان : يا سيدتي ، يا سيدتي ، يا سيدتي !

إرس : يا كليوباترا، يا ملكة مصر، يا إمبراطورة !

شراميان : اهدئي ، اهدئي ، يا إرس .

كليوباترا : إني لست الآن امبراطورة، ولكني مجرد امرأة معرضة للآلام التعسة المزرية التي تتعرض لها الفتاة القروية التي تقوم بأحقر الأعمال وأثقلها إنه يليق بي أن أقذف بصولجاني في وجه الآلهة الحقودين قائلة لهم: إن دنياي كانت على قدم المساواة مع دنياهم حتى سرقوا جوهرتي التي أصبح بعدها كل شيء هباء. والصبر لا يليق إلا بالمجانين والرعب يلائم الكلب

الكَلِب؛ إذن: هل من الحزم أن يخترق
المرء بعنف طريقه إلى مورد الموت الزؤام
قبل أن يجرؤ هذا الموت ويأتي إليه؟ ما
الذي يؤلمكن يا نسائي؟ لا تبدون بهذه
التعاسة، وكن باشات. ماذا حصل يا
شرميان ويا فتياتي الشريفات؟ أيتها
النسوة. أيتها النسوة انظرن فقد نفد زيت
القنديل وانطفأ نوره. يا سيداتي تشجعن،
هيا لندفنه ثم نقتدي بالعادة الرومانية
ونحذو حذو الشجعان الشرفاء الذين
يقتلون أنفسهم عندما تصبح حياتهم لا
تستحق البقاء، وبذا نجعل الموت فخوراً
باقتناصنا، هيا؛ لأن هذا الجسم الذي
كانت تدب فيه الروح أصبح جثة هامدة،
يا نسائي يا نسائي هيا، نعم لم يبق لنا
أصدقاء سوى الشجاعة الصادقة التي
تسرع فتنهي متاعبنا.

(يخرجون حاملين جثة أنطونيو)

الفصل الخامس

المشهد الأول

الإسكندرية ، معسكر قيصر

(يدخل قيصر وأغريبًا ودولابلا مسنس وغلوس وبروكيلياس وغيرهم من أعضاء مجلس حرب قيصر).

قيصر : اذهب إليه يا دولابلا ومره أن يسلم لأنه قد هزم هزيمة منكرة. وأن تردده في التسليم ليس إلا سخرية .

دولابلا : سأفعل يا قيصر .

(يدخل ديكرتاس ومعه سيف أنطونيو المخضب بالدماء).

قيصر : كيف تجرأت بالدخول علينا به .

ديكرتاس : إن اسمي ديكرتاس ولقد كنت في خدمة أنطونيو وهو أحسن من يخدم . وعندما كان حيًّا كان سيدي، ووقفت حياتي على إهلاك أعدائه، فإذا تفضلت وضممتني تحت لوائك فسأكون مخلصاً لك كما كنت له، أما إذا رفضت فإني أسلم نفسي لك .

قيصر : ما الذي تقول؟

ديكرتاس : إن أنطونيو قد مات .

قيصر : إن موت رجل عظيم كهذا كان منَ الواجب أن تتبعه رجة عنيفة، وإن الأرض في دورتها كان يجب أن تقذف بالسباع الحية من عرينها إلى الشوارع المأهـولة، وبالرجال إلى مأوى الأسود. ولعمري إن موت أنطونيو ليس موت فرد بل مصيبة حلت بنصف العالم .

ديكرتاس : لقد مات يا قيصر، ولم يقتله فرد مكلف تنفيذ القتل في الناس ولا يد مأجورة للقضاء عليه ولكنه قضى على نفسه بيده، تلك اليد التي أكسبته فخراً بعملها، والتي استمدت شجاعتها من قلبه ـ هي التي قد مزقت ذلك القلب!! وهذا هو سيفه، وقد نزعته من جرحه. انظر فإنه مخضب بدمائه الطاهرة .

قيصر : يا للأسى أيها الأصدقاء على نقمة الآلهة إن لم أشعر بأن أخباراً كهذه توجب ذرف الدموع من أعين الملوك .

أغريبًا : من الغريب أن إحساسنا الطبيعي يضطرنا لأن نأسى على أعمالنا التي بذلنا أقصى جهودنا في إنجازها .

مسنس : لقد كانت صفاته الطيبة وعيوبه متعادلة .

أغريبًا : إن وجود روح كروحه لترشد الإنسان في الحياة نادرة ، وإن الآلهة تزرع فينا بعض النقائص حتى لا نكون على قدم المساواة معها . لقد تأثر قيصر !!

مسنس : عندما توجد أمامه مرآة متسعة كهذه لا بد من أن يرى نفسه فيها .

قيصر : هل اقتفيت أثرك يا أنطونيو لأصل إلى نتيجة كهذه !! ولكنا قد نبث الأمراض في أجسامنا . وهل قدر لنا : إما أن تراني وقد أفل نجم عظمتي ! ، وإما أن أراك على هذا الحال ! لقد كان من المستحيل أن يعيش كلانا هادئاً ، كل واحد بجانب الآخر في الدنيا، ومع ذلك سأبكيك بدموع أكثر شرفاً من دم القلوب؛ لأنك أخي ومنافسي في شرف المقصد وزميلي في حكم الإمبراطورية ،يا أصدقائي ورفاقي، عند التعرض للأخطار، إن ذراعي وقلبي تلتهبان وهي تقودنا إلى النهاية بالرغم من صداقتنا .

(يدخل مصري)

إن محيا هذا المرء يوحي بأن لديه نبأ عظيماً، فلنستمع إليه . من أنت؟!

المصري : مصري من عامة الشعب . إن سيدتي

الملكة السجينة في هيكلها تسأل عن تعليماتك كي تستطيع إعداد نفسها لما يلائم الظروف الجديدة .

قيصر : قل لها أن تتشجع ، وستعرف على لسان رسولي أغراضي النبيلة نحوها والمعاملة الحسنة التي ستلقاها مني إذ يستحيل عليّ إلا أن أكون رفيقاً مهماً طالت حياتي .

المصري : فلترعك الآلهة .

قيصر : تعال هنا يا بروكيلياس . اذهب وأخبرها بأننا لا نريد أن نصمها بوصمة العار ، وواسها وعدها بما يخفف عنها حزنها، لئلا يؤثر في نفسها العظيمة ، فيدفعها إلى الانتحار وبذلك تفوّت علينا فرصة أخذها إلى روما حية لتكون تذكاراً دائماً لشرف انتصارنا ، فاذهب مسرعاً وعد لتخبرني بما تقوله ونبّئني بحالتها .

بروكيلياس : سأفعل يا قيصر .

(يخرج)

قيصر : واذهب أنت أيضاً يا غلوس لمعاونته .

(يخرج غلوس)

أين دولابلا ؟

الجميع : يا دولابلا .

قيصر : اتركوه وشأنه لأني أذكر الآن المهمة التي كلف بها ، وسيكون مستعداً في الوقت المناسب . تعال معي إلى فسطاطي لأعرض عليك الأسباب الملحة التي دفعتني إلى هذه الحرب وبأن رسائلي له كانت هادئة وليس فيها ما يثيره وكم يسرني أن لو استطعت مجانبتها .

المشهد الثاني

الإسكندرية ، حُجرة في الهيكل

(تدخل كليوباترا وشراميان وإرس)

كليوباترا : أن أكون أرملة تعيسة هي مقدمة كي أرحب بسعادة قادمة ، ليس من المكانة بشيء أن يكون الإنسان إمبراطوراً ، إذ هو رهين الحظ والمنفذ لإرادته ، وإنه لأمر عظيم أن يقوم المرء بعمل حاسم يقضي على الأعمال الأخرى (أي يقتل نفسه) ، وينام نوماً أبدياً ولا يذوق الطعام الذي يتمتع به الغني والفقير على السواء .

(يدخل إلى أبواب الهيكل بروكيلياس وغلوس)

بروكيلياس : إلى ملكة مصر يبعث قيصر تحياته ويريد أن تتدبري بروية ، فيما يرضيك من الرغبات ، وهو على استعداد لإجابتها .

كليوباترا : ما اسمك ؟ .

بروكيلياس : اسمي بروكيلياس .

كليوباترا : لقد ذكرك أنطونيو لي وأمرني أن أثق بك ، ومثلي التي فقدت مكاسبها لا يهمها إذا

خدعت ، فإن كان سيدي يريدني أن أكون متوسلة له يجب أن تقول له : إن الملكة عليها أن تظهر بشكل يليق بها ويكون لها مملكة ، فإذا سمح ومنحني مَلك مصر المهزومة لابني وهذا من حقي فإني أشكره كل الشكر بخضوع .

بروكيلياس : سرّي عنك ، لقد وقعت في يد نبيلة فلا تخشي سوءاً ، ولا تترددي في طلب ما تريدين بحرية وصراحة من سيدي الذي شمل عطفه كل ذي حاجة ، وبإمكانك الاعتماد عليه والاطمئنان إليه وستجدين أنه مهتم بإظهار عطفه نحوك .

كليوباترا : أرجوك أن تعلمه أني خادمة حظه ، وأني أعترف بغلبته ، ذاكرة طاعتي له وتسرني مقابلته شخصياً .

بروكيلياس : سأبلغه ما قلت يا سيدتي وكوني مطمئنة البال ، فإن ما يعزي حظك السيىء مسببه

غلوس : هل من السهل مفاجأتها ؟ .

(عند هذا يصعد بروكيلياس واثنان من الحراس إلى الهيكل بواسطة سلم على نافذة ! يقفون خلف كليوباترا)

(ويشد بعض الحراس مزاليج الأبواب ويفتحونها)
(إلى بروكيلياس والحراس) احرسوها حتى يحضر قيصر .

إرس : واملكتاه !

شراميان : لقد أسرت يا كليوباترا .

كليوباترا : هيا أسرعن ، أسرعا أيتها اليدان الطيبتان !

(تستل خنجراً)

بروكيلياس : أمسكي أيتها السيدة النبيلة أمسكي
(يقبض على يدها ويأخذ منها الخنجر)
لا تكوني مجرمة بحق نفسك ، فإن ما حصل كان لراحتك وليس لخيانتك .

كليوباترا : ويحي ! أأحرم الموت كعلاج ! هذا العلاج الذي يريح الكلاب الضالة من المرض العضال المزمن .

بروكيلياس : أي كليوباترا ، لا تحقري كرم سيدي بالقضاء على حياتك ودعي العالم يَرَ كرمه الحسن ، ولا يكون موتك سبباً في القضاء عليه .

كليوباترا : أين أنت أيها الموت ؟ تعال هنا ، تعال ، تعال ، وأنقذ ملكة من متاعبها كما تريح الأطفال والشحاذين من آلامهم .

بركيلياس : هدئي روعك يا سيدتي .

كليوباترا : سيدي لن آكل اللحم أو استنشق الهواء ، وإذا استطعت أن أقضي الليل في هزء القول فلن أنام أيضاً . سأهدم هذا البناء الفاني مهما حاول قيصر منعي واعلم أني لن أكون أسيرة قيصر سيدك ولا أرضى أن ترمقني أوكتافيا شزراً بعين ملؤها الاحتقار ، ولا يطيب لي أن أعرض على غوغاء روما الساخرين المستهزئين . والأفضل من هذا أن أدفن في حفرة في مصر لأنها تكون أرحب صدراً بي ، أو أرمى على وحل أرض مصر عارية ويعلوني الذباب حتى يصبح جيفة قذرة ، أو أشنق على سفح الأهرام العالية وأعلق عليها مكبلة بالسلاسل والأغلال .

بروكيلياس : إنك تتصورين أموراً فظيعة وليس هناك ما يحملك على هذا .

(يدخل دولابلا)

دولابلا : ما فعلته يا بروكيلياس علمه سيدك قيصر وهو يطلبك وسأتولى أنا حراسة الملكة .

بروكيلياس : إن هذا يرضيني يا دولابلا فكن رفيقاً في معاملتها (إلى كليوباترا) سأخبر قيصر بما

تريدين إذا رضيت أن أكون سفيراً لديه
عنك .

كليوباترا : قل له إني راغبة في الموت .

(يخرج بروكيلياس والجنود)

دولابلا : يا أشرف الملكات هل سمعت عني ؟
كليوباترا : لا أذكر :
دولابلا : من المؤكد أنك تعرفينني .

كليوباترا : لا تهمني معرفتك أو السماع عنك . أليس
من عادتك تفسير رؤيا الأولاد والأطفال
عندما يذكرونها لك، ؟

دولابلا : لا أفهم ما تقصدين يا سيدتي .

كليوباترا : لقد حلمت أثناء نومي أن كان هناك
إمبراطور يدعى أنطونيو .

دولابلا : أرجوك يا سيدتي . . .

كليوباترا : كان وجهه كالسماء وشمسها وقمرها
يسيران مضيئان العالم .

دولابلا : يا أنبل السيدات .

كليوباترا : كان نفوذه واسعاً وذراعه قوية كهامة
الدنيا ، وقد منحه الآله صوتاً موسيقياً رناناً
يهز مشاعر العالم . هكذا كان يعامل
أصدقائه ، أما أعدائه فإن صوته كان

كالرعد يهزهم هزاً قوياً، وكأني به يزلزل الأرض ولم يكن بخيلاً، بل كان عطاؤه كنبت الخريف لا يكاد يجتث حتى يعود فينبت من جديد ، وكان يشبه في مسراته جن البحر بإظهار فرحه ، وكان يقوم بخدمته الملوك وأتباعهم وكانت مملكاتهم واسعة ، لدرجة أنه كان يهبها كما يهب غيره النقود الفضية .

دولابلا : وي لكليوباترا .

كليوباترا : هل تظن أنه هناك رجلاً مثل الذي رأيت في أحلامي :

دولابلا : أظن ، يا سيدتي اللطيفة .

كليوباترا : أنت كاذب ، ويكاد كذبك يصل إلى مسامع الآلهة ، إذ من المستحيل أن يكون هناك مثله ، ولا يمكن أن يحلم به ؛ فالطبيعة لا تستطيع منافسة ما يتصوره غريب الخيال ، وإذا أمكنها أن تخلق مثل أنطونيو فلا بد أن يكون أقل منه .

دولابلا : أصغي إليَّ يا سيدتي الطيبة ، إن خسارتك مثل قدرك كبيرة ، وإنك تنوئين بحملها على قدر وزنها ، وإني أدعو ألا أنجح في أي أمر يعنيني فإن حزنك يؤثر فيَّ تأثيراً يصل إلى أعماق قلبي .

كليوباترا : شكراً سيدي ، هل تعرف ما ينوي قيصر على فعله معي ؟

دولابلا : إني لأكره أن أخبرك بما تودين معرفته

كليوباترا : إني أرجوك يا سيدي .

دولابلا : ولو أنه رجل شريف . . .

كليوباترا : إنه يود إذن أن يعرضني على الأنظار كدليل لانتصاره .

دولابلا : نعم يا سيدتي وإني واثق من ذلك .

(ترنيم من الأبواق وأصوات من الداخل : افسحوا لقيصر)

(يدخل قيصر وغلوس ويروكيلياس ومسنس وسليكايس من حاشيته)

قيصر : أيتكن ملكة مصر ؟

دولابلا : إنه الإمبراطور يا سيدتي .

(كليوباترا تركع)

قيصر : ترجلي ، لا تركعي ، أرجوك أن تقومي ، قفي يا ملكة مصر .

كليوباترا : هذه هي إرادة الآلهة ، وإني لا بد من الخضوع والطاعة لسيدي .

قيصر : لا تتصوري أن يقصد بك السوء ، وأية إساءة صدرت منك إلينا سأذكر أنهاعن غير قصد .

كليوباترا : يا حاكم العالم الوحيد ، لا أستطيع تبرئة نفسي من اللوم ، ولكني أعترف أن هذا من نقائص بنات جنسي .

قيصر : اعلمي يا كليوباترا أني قد جئت لأخفف عنك ولألتمس لك العذر ، لا أن أعاقبك ، فإذا وافقت على ما أنويه نحوك - وهي نوايا حسنة فإن سوء حظك ، سينقلب سعادة ونعمة عليك ، وإذا أردت أن تنسبي إليّ القسوة ، واتخذت سبيل أنطونيو وانتحرت - فإنك ستفقدين حسن نبلي وتعرضين أطفالك للهلاك الذي لا أريده لهم .

كليوباترا : إنك تستطيع أن تسير في الدنيا كلها ، وما نحن إلا أمارات عظمتك ، ولا نقيم إلا حيث يطيب لك . هاك يا سيدي الشريف . . .

قيصر : وسأنفذ رغباتك كما تشائين .

كليوباترا : هذا بيان بما أملك من المال والذهب والجواهر في خزائني ، مقدرة تقديراً دقيقاً ، ولم أذكر في البيان الأشياء التافهة . أين سليكايس ؟

سليكايس : طوع أمرك يا سيدتي .

كليوباترا : هذا هو خازن بيت مالي فمره أن يخبرك هل حجزت لنفسي شيئاً ؟ تكلم الصدق يا سليكايس .

سليكايس : خير لي يا سيدتي أن يخرس لساني من أن أتكلم بغير الحقيقة وأعرض نفسي للخطر .

كليوباترا : ما الذي حجزته لنفسي ؟ .

سليكايس : حجزت مقداراً كافياً لشراء أشياء بقيمة تلك التي أظهرتها .

قيصر : لا تخجلي يا كليوباترا فإني أوافقك على ما فعلت .

كليوباترا : تأمل يا قيصر وانظر كيف يسير الناس في ركب العظمة إن عظمتي قد آلت إليك ، وكنت أتمنى العكس لقد جن جنوني من نكران هذا الرجل سليكايس للجميل ، واهاً لك أيها الرقيق الذي لا تستحق الثقة كالحب المتصنع (تتقدم لتضربه) ماذا ؟ هل ترتد إلى الوراء ! أقسم أنك على أهبة هجراني ، ولكني سأراقبك ولن تفلت مني ، ولو كانت لك أجنحة . يا أيها العبد ، ويا أيها الكلب الشرير الخبيث عديم الإحساس الدنيء .

قيصر : أيتها الملكة الطيبة إني أتوسل إليك .

كليوباترا : ما أقسى هذا الخزي العميق ! إنك قد تنازلت وزرتني ، وأثناء تشريف عظمتكم لشخصي الضعيف يتقدم خادمي ويزيد فضيحتي بحقده ، فلنفرض يا قيصر أني حجزت لنفسي بعض الأشياء التافهة التي لا قيمة لها إلا في نظر النساء ، ولنفرض أني حجزت أشياء قيمة لأتقدم بها إلى ليفيا زوجتك وأوكتافيا أختك لأغريهما بالتوسل لي عندك ، فهل يليق أن يفتضح أمري على يد رجل ربيته ، رجل مدين بحياته لي ؟ فلتسحقني الآلهة وتنزل بي إلى درك أسفل مما أنا فيه ! (إلى سليكايس) أرجوك أن تختفي وإلا صببت عليك سوط عذابي . ولو كنت رجلاً شريفاً لأشفقت عليّ وما فضحتني كما فعلت .

قيصر : انسحب يا سليكايس .

(يخرج سليكايس)

كليوباترا : اسمعوا وعوا : إننا أعظم العظماء عندما نسقط نعاقب شخصياً من أجل فعال الآخرين ، وبذلك نستحق المواساة .

قيصر : يا كليوباترا ليس من حقي بوصفي غازياً

ان استولي على الأشياء التي اعترفت بها ، أو الأشياء التي حجزتها فهي ملكك تصرفي بها كما تشائين وثقي أنني لست وغداً يحاول أن يزيد ثروته بالتجارة بعد أن ملك أمرك ، فأرجوك أن تسري عنك ولا تظني نفسك أسيرة وأنت في الحقيقة طليقة . يا سيدتي الملكة لقد عزمت على إرضائك ، فاطمئني وإنا سنعنى بأمرك ونشفق عليك حتى نستبقي صداقتك والآن أستودعك الآلهة .

كليوباترا : سيدي وعاهلي !

قيصر : ليس الأمر كذلك وداعاً .

(ترنيم من الأبواق . يخرج قيصر وحاشيته)

كليوباترا : إنه يتملقني ليحاول إقناعي أيتها الفتيات ، يحاول إقناعي حتى لا أكون مخلصة لنفسي ، ولكن أصغي إليّ يا شراميان .

(تهمس في أذن شراميان)

إرس : انتهى يا سيدتي النبيلة ، فلقد مضى يومنا المشرق ونحن سائرون إلى حياة الظلام .

كليوباترا : اذهبي مرة ثانية ، ولقد أصدرت أوامري في هذا الموضوع فاذهبي ورتبيه على عجل .

شراميان : سأفعل ذلك يا سيدتي .

دولابلا : أين الملكة ؟

شراميان : ها هي ذي يا سيدي .

كليوباترا : دولابلا .

دولابلا : يا سيدتي امتثالاً لأوامرك التي اعتبر إطاعتها أمراً مقدساً أخبرك أن قيصر ينوي الرحيل إلى سورية ، وسيرسلك وأولادك قبله . فتدبري في الأمر بما تقتضيه مصلحتك ، ولقد نفذت أمرك وبررت بوعدي .

كليوباترا : سأظل مدينة لك بجميل الولاء والوفاء .

دولابلا : إني خادمك. وداعاً يا أيتها الملكة الطيبة . عليّ أن أكون في معية قيصر .

كليوباترا : وداعاً وأشكرك.

(يخرج دولابلا)

والآن يا إرس ماذا تظنين ؟ إنك ستعاملين كدمية مصرية وتعرضين في روما مثلي ، وستحملين على أكتاف عبيد سفلة قذري الملابس ، ومعهم مطارقهم ومساطرهم ، وسنشم رائحة طعامهم المرذولة ، ونستنشق رائحتهم الخبيثة .

إرس : معاذ الآلهة .

كليوباترا : لا شك في ذلك يا إرس وسيعاملنا خدم رجال القضاء معاملة الفاجرات ، وسينظم

فينا الأهالي الأغاني والأناشيد الرديئة النغم ، وسيؤلف كتبة المسرحيات المضحكة مسرحية يشرحون فيها ملاهينا بالإسكندرية ويمثلونها ، وسيمثلون أنطونيو كرجل سكير ، وستمثل عظمة كليوباترا بولد صغير يصرخ ويصرصع .

إرس : فلتحفظينا أيتها الآلهة الكريمة !

كليوباترا : هذا أمر أكيد !

إرس : لن أرى ذلك لأني واثقة أنني أستطيع وضع حد لحياتي وهي وسيلة تفسد مقاصدهم السخيفة .

(تعود شراميان)

كليوباترا : والآن يا شراميان ألبسيني بوصفي ملكة ، ويا نسائي أحضرن ملابسي الفاخرة أحس كأني ذاهبة مرة ثانية إلى سِيْدْنس لمقابلة مارك أنطونيو . اذهبي يا إرس وأنت يا شراميان أسرعي ، وعندما تنجزين ما أمرتك به سأمنحك عطلة تتمتعين بها حتى يوم القيامة أحضري تاجي .
ما معنى هذه الضجة ؟

(تخرج إرس وتسمع ضوضاء من الداخل)

(يدخل الحارس)

الحارس : هنا رجل فلاح مصمم على مقابلتك ومعه

بعض التين .

كليوباترا : اسمح له بالدخول (يخرج الحارس) كم من أداة حقيرة تؤدي عملاً شريفاً ! إنه يجلب إليَّ الحرية لا أشعر بشيء من ضعف المرأة محافظة على رباطة جأشي ، ثابتة كالجبال ولن أعترف بأن القمر المتغير هو الكوكب الذي يشرف على مصيري .

(يرجع الحارس والفلاح ومعه السلة)

الحارس : هذا هو الرجل .

كليوباترا : انسحب واتركه (يخرج الحارس) هل أحضرت في هذه السلة أفعى النيل ؟ التي تقتل بدون ألم ؟

الفلاح : حقاً هي معي ، ولكن أنصحك ألا تلمسيها لأن في عضتها القضاء المحتم ، وقلّ أن يشفى أحد ممن تلدغهم ، وقد لا يشفى أبداً .

كليوباترا : هل تذكر أحداً مات منهم ؟

الفلاح : كثيراً من الرجال ، وكثيراً من النساء أيضاً وقد سمعت عنهم بالأمس فقط : فهناك امرأة شريفة اعتادت الكذب ولا يجب أن تفعل ذلك إلا للذود عن شرفها وهي

تُحْسِن مدح هذه الحشرة في لدغها والألم الذي شعرت به ولكن من يصدق نصف ما تقوله النساء لا ينجو من جميع أعمالهن ولا شك أن هذه الحشرة عجيبة .

كليوباترا : ارحل من هنا ، وداعاً .

الفلاح : أرجو أن تجدي من الأفعى كل ما تريدين .

(يضع السلة على الأرض)

كليوباترا : وداعاً .

الفلاح : يجب أن تفهمي أن الأفعى ستعمل بحسب طبيعتها .

كليوباترا : نعم . نعم . وداعاً .

الفلاح : انتبهي فإن الأفعي لا يؤمن جانبها إلا إذا كان أمرها موكولاً إلى أناس عقلاء ؛ إذ ليس فيها شيء من الخير .

كليوباترا : كن مطمئناً فإننا سنراقبها .

الفلاح : وهو كذلك . لا تطعميها شيئاً فإنها لا تستحق الغذاء .

كليوباترا : هل تأكلني ؟

الفلاح : لا تظنيني أبلهاً ؛ لأن الشيطان نفسه لا يمكن أن يأكل امرأة . وأعرف أن المرأة طعام الآلهة إذا لم يعبث بها الشيطان ،

ولكن هذه الشياطين تسيء إلى الآلهة في شخص سيداتهم ؛ فإن في كل عشر تخلقهن الآلهة خمساً يفسدهن الشيطان .

كليوباترا : حسناً اذهب . وداعاً .

الفلاح : نعم وأرجو أن تسري من الحشرة .

(يخرج الفلاح).

(تعود إرس ومعها رداء والتاج . . إلخ).

كليوباترا : هاتي ردائي وألبسيني التاج . من طبيعتي الرغبة في العيش مخلدة . لن تلمس شفتاي بعد عصير العنب المصري . أسرعي . أسرعي يا إرس الطيبة ، يخيل إلي أني أسمع نداء أنطونيو ، وأني أراه يمتدح فعلي النبيل ، وأسمعه يسخر من حظ قيصر الذي منحته إياه الآلهة ليكون لها مندوحة فيما بعد لأن تسيء إليه وتقلب له ظهر المجن . ها أني قادمة يا زوجي كي نبرهن شجاعتي على أني أستحق أن اسمى زوجتك ؛ وليس بي من العنصرين الأكثر انحطاطاً (الأرض والماء) بل كلي الآن نار وهواء . وسأدع هذين العنصرين ليأكلهما الدود .
هل انتهيت من إلباسي ؟ هيا فاحضر يا أنطونيو وتمتع بآخر قبلة من شفتي ، وداعاً

يا شراميان ، وداعاً طويلاً يا إرس .
(تقبلهما فتقع إرس ميتة)
هل في شفتي سم الأفعى حتى تموتي من قبلتي ، إذا كنت قد فارقت الحياة بهذه السهولة ـ فإن ضربة الموت ستكون كدغدغة الحبيب التي تؤلم ولكنها مرغوب فيها . أما زلت راقدة ؟ إذا كانت روحك قد خرجت بهذه السهولة فمن الواضح أنه يجب على المرء ألا يعبأ بترك الحياة الدنيا .

شراميان : لتذهب أيها السحاب المتراكم ولينزل المطر حتى يمكن أن أقول أن الآلهة نفسها تواسينا بدموعها .

كليوباترا : إن موتها ليحط من شأني لأنها ستحظى بمقابلة أنطونيو ذي الشعر المنظم قبلي ، وسيسألها عن أخباري ، وسيكافئها بقبلة هي لي بمثابة النعيم . تعالي أيتها الحشرة الدنيئة القتالة (مخاطبة الأفعى التي تضعها على صدرها) وبأسنانك الحادة حلي عقدة هذه الحياة الصعبة ، أيتها الحشرة الخبيثة السامة اغضبي وأسرعي ، يا ليتك تستطيعين الكلام حتى أسمعك تهزئين من قيصر كما أفعل الآن ، وإني

لمتيقنة أنك ستسخرين منه لأنه خدع
وغلب على أمره .

شرامیان : إيه يا نجمة الشرق !

كليوباترا : صمتاً ، صمتاً ، ألا ترين طفلي يرضع
ثديي لينام بدلاً من أن تدلله المربية .

شرامیان : كفى ، كفى !

كليوباترا : إنه حلو كالبلسم ورقيق لطيف كالهواء يا
أنطونيو ! (تمهد لأفعى أخرى على
ذراعها) سآخذ أخرى غيرك . لماذا
أحيا . . ؟

(تموت)

شرامیان : ما هذه الدنيا التعسة ! وداعاً ، افخر أيها
الموت ، إذ فزت بفتاة عديمة النظير ،
غمضاً أيتها العينان الفاتنتان اللتان لم تر
الشمس الوضاءة مثلهما جمالاً !! لقد
انحدر تاجك عن موضعه ، فسأصلح
وأخرج لشأني .

(يدخل الحراس مسرعين)

الحارس الأول : أين الملكة ؟

شرامیان : تكلم بهدوء لئلا توقظها

الحارس الأول : لقد أرسل قيصر . .

شرامیان : رسولاً بطيئاً جداً (تضع أفعى على

جسمها) (إلى الأفعى وهي تضمها على صدرها) هيا هيا أسرعي إني أشعر بعض الشعور بك .

الحارس الأول : أقبل يا . . ليس كل شيء على ما يرام ، لقد خدع قيصر .

الحارس الثاني : هاك دولابلا فلقد أرسله قيصر ، ادعهُ .

الحارس الأول : ما الذي حصل هنا ؟ هل هذا عمل طيب يا شراميان ؟

شراميان : إنه عمل مجيد يليق بأميرة سليلة ملوك عظماء آه يا جندي !

(تموت)

(يعود دولابلا)

دولابلا : كيف الحال هنا ؟

الحارس الثاني : لقد مات الجميع .

دولابلا : كل ما قدرت يا قيصر قد حصل كما يتضح من رؤية هذه الأجسام الميتة ، وستحضر لترى بنفسك هذا العمل المخيف الذي حاولت أن تمنعه .

(أصوات من الداخل : افسحوا لقيصر)

(يعود قيصر وحاشيته سائرين)

دولابلا : لا شك يا سيدي أنك نبي ، لأن ما كنت تخشاه قد حصل .

قيصر : لقد أظهرت نفسها في نهاية حياتها أشجع مما كانت ؛ فلقد توقعت أغـراضي نحوها ، ولما كانت متعودة صدق الحدس نفذت إرادتها ، هل لي أن أعرف وسيلة موتهن لأني لا أرى آثار الدم عليهن ؟

دولابلا : من كان أخيراً معهن ؟

الحارس الأول : رجل فلاح أحضر لهن تيناً في سلة وهذه هي السلة .

قيصر : إذن لقد متن مسمومات .

الحارس الأول : يا قيصر ؛ شراميان هذه كانت حية منذ لحظة ، وكانت واقفة تتكلم ، ولقد رأيتها ترتب التاج على هامة سيدتها الميتة ، لكنها كانت ترتعد عند وقوفها ثم سقطت فجأة .

قيصر : يا لها من امرأة شريفة !! لو كن تناولن السم لظهر ورم على أجسامهن . لكن الملكة تظهر وكأنها تنام نوماً هادئاً ، كأنها تريد أن يقع في شرك جمالها الفتان أنطونيو آخر .

دولابلا : هنا على ثديها نزيف من الدم والورم ، وكذلك الحال في ذراعيها .

الحارس الأول : هذه هي آثار زحف الأفعى وأوراق التين

هذه عليها شيء من غرين النيل .

قيصر : يحتمل أن تكون قد ماتت هكذا ، لأن طبيبها أخبرني أنها اختبرت وسائل عدة للموت بسهولة . احملوها إلى سريرها واحملوا نساءها من الهيكل ، وستدفن بجوار أنطونيو الذي أحبته حباً جماً ، على أنه ليس هناك قبر يسع شخصين عظيمين كهذين .
إن حوادث عظيمة كهذه لها عظيم الأثر في نفس من أحدثها وسردها مجلبة للشفقة على من كانوا ضحيتها ، كما أنها مجلبة لفخر من كان السبب فيها . سيشترك جيشنا في تشييع الجنازة ثم يسافر إلى روما .
هيا يا دولابلا واعمل أن تكون الجنازة فخمة لائقة .

(يخرجون)

ـ تمت ـ

روائع شكسبير

* الملك لير
* هملت
* عطيل
* كليوباترا
* العاصفة
* يوليوس قيصر
* تاجر البندقية
* ريتشارد الثالث
* روميو وجوليت
* سيدان من فيرونا
* حلم ليلة صيفية